

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : تاريخ وسيط

**منهج ابن خلدون في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب
الهلالية مستخرج من كتابه**

(العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)

((الجزأين السادس والسابع أمودجا))

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ تخصص تاريخ وسيط

إشراف الأستاذة الدكتور:

- الطاهر بو نابي

من إعداد الطالبة :

- دليلة بوعافية

السنة الجامعية : 1436هـ/1437هـ

2013م / 2014م



شکر و عرفان

قال الله تعالى: ((وَإِذْ تَأْخُذُكُمْ رِبَكُمُ لَنفِكُنَّكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)) سورة إبراهيم، الآية 07.

كل الشكر إلى العليّ القدير الذي سهل لي سبيل العمل من فيض علمه، والذي وسع كل شيء، فله الحمد الذي بنعمته تم الصالحات، وله الفضل في إتمام العمل.

- أتقدم بالشكر الجزيل إلى رمز الاحترام والتقدير الذي قال في حقه الشاعر: "قم للمعلم وفه التبجيل كاد المعلم أن يكون رسولا" للأستاذ الدكتور **"الطاهر بونابي"** على تكريمه وتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، ولما أبداه من سعة الصدر وحسن التوجيه، والإرشاد، حتى إنجاز هذا البحث.

-أقدم بالشكر والعرفان لأساتذتي الكرام في قسم التاريخ لما قدموه من علم مفيد ولما زرعه في نفسي من بذور الجهد والبحث.

-أَتَقْدُمُ بِالشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ إِلَى كُلِّ مَنْ سَاعَدَنِي مِنْ قَرِيبٍ أَوْ مِنْ بَعِيدٍ .

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل إعملوا فليسير الله عملكم ورسول الله)) صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات

إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنح إلا برويتك

الله جل جلاله

إله من بلغ الرسالة وأدى الأمانات... ونصح الأمم... إله نبلي الرحمن ونور العالمين...

سيدنا محمد صالح الله عليه وسلم

إله من علمني النجاة والصبر، إله من أفقده فلي موجه الصعاب، ولم تمهل الدنيا

لأرتوي من حنانك، إله من استبقى ذكره خالدة تردد فلي فؤادي إله روح أبي

الطاهرة "عيسى"

إله التلي دمي من دمها وروحي من روحها، إله التلي تربيت فلي أخطائها، وسقنتني

من أنهار حنانها إله أمي الغالية أطال الله فلي عمرها "الزهرة"

إله سدي وقوتي وملاذي بعد الله، إله من أثروني على نفسيهم... إله من علموني

علم الحياة، إله من أظهروا إلهي ما هو أجمل من الحياة "إخوتي"

إله من كانوا ملاذي وملجئي، إله من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إله من

سأفتقدهم... إله من جعلهم الله إخوتي بالله... ومن أحببتهم بالله "طلاب قسم

التاريخ"

المقدمة

مقدمة :

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

يعتبر موضوع منهج عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ) في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" من صنف التاريخ العالمي ومن المواضيع التي شغلت حيزاً كبيراً في كتابات العديد من العلماء والباحثين عربياً وإسلامياً وعالمياً، وغطت هذه الدراسات جوانب عديدة من أفكاره وطروحاته، إلا أن جل الدراسات انصب الاهتمام فيها على دراسة المقدمة والنظريات الواردة فيها¹، بينما لم يحظ العبر بالدراسة في مستوى منهج الكتابة.

وظل الاعتقاد سائداً بأنه لم يوظف نظريته في فلسفة التاريخ والاجتماع فيما كتبه ضمن العبر، وهذا التيار الذي حسم قطعاً بعدم توظيفه للنظريات والمناهج، وهو الأكثر دعماً ودعاية².

بينما لا يزال التيار الثاني يتلمس وسائل الإثبات في العبر ليؤكد وعي ابن خلدون وحرصه على توظيف القواعد المنهجية والنظريات الفلسفية³، وهو التيار الذي رأيت تعزيزه بهذا البحث من خلال دراسة منهج ابن خلدون "في أخبار البربر ومواليهم من زناتة، وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بديار المغرب خاصة من الملك والدول" وذلك لاعتبارات عديدة أهمها:

أولاً: لأنهما من أقوى الأقسام أصالة وأكثرها تحقيقاً وتجديداً، وذلك أن معظم ما جاء فيهما استند فيه إلى مصادر الأنساب البربرية والعربية، وكذلك اعتماده على مشاهداته في أثناء اتصاله بمختلف قبائل البربر والعرب وتقلبه في بلاطات دول المغرب.

- من بين هذه الأعمال:

¹- سامية حسن الساعاتي: ابن خلدون مبدعاً - قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع- ، ط1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م ؛ محمد فاروق النيهان: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م ؛ مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1413هـ/1992م ؛ حسين عبد الله بانبيله: ابن خلدون وتراثه التربوي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/1984م ؛ محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي- ، ط6، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م ؛ ناصيف نصار: الفكر الواقعي عند ابن خلدون تفسير تحليلي وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته ومعناه- ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م ؛ عبد الغني مغربي: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م ؛ مهدي عامل: في علمية الفكر الخلدوني، دار الفارابي، بيروت، 1985م ؛ ...

- من بين هذه الدراسات:

²- زينب الخضير: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ/1989م ؛ طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - تحليل ونقد-، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1343هـ/1925م ؛ محمد علي الأحمد: "نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ- ابن خلدون نموذجاً"، مجلة إسلامية، المعرفة، بيروت، ع51، 1428هـ/2007م ؛ ...

- من هذه الدراسات:

³- حسين عاصي: ابن خلدون مؤرخاً، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م ؛ خلدون خليل سليم الحباشنة: ابن خلدون والتاريخ، أطروحة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2010 ؛ عبد العزيز غوردو: مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية - دورية كان التاريخية -، ديسمبر، 2008 ؛ ناجية الوريحي بوعجيلة: حفريات في الخطاب الخلدوني -الأصول السلفية ووهم الحداثة العربية-، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2008.

ثانياً: أنه لدى قراءتي للجزأين السادس والسابع من كتابه العبر، تلمست تطبيق ابن خلدون للعديد من المناهج التاريخية التي نظر لها في كتابه المقدمة.

ومن هنا رأيت الخوض في غمار هذا البحث، من خلال طرح الإشكاليات التالية وهي:

هل ابتكر ابن خلدون منهجاً جديداً في كتابة تاريخ البربر والعرب الهلالية؟

- ماهي مصادره المعرفية ومنهجه في استخدامها؟

- ما مدى تطبيق ابن خلدون لقواعده المنهجية التي صاغها في المقدمة في الكتابة التاريخية في كتابه

العبر الخاص بـ (تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية)؟

- كيف ورد أسلوبه في الكتابة؟

ب- المنهج :

استندت في هذا البحث إلى دراسة نص "العبر" من الداخل، ووظفت المنهج الاستقرائي والتحليلي الوصفي التي ساعدتني في فهم أسلوبه وطريقته في الكتابة، كما قمت بتوظيف الأدوات الإجرائية كإحصاء والمقارنة، محاولة دعم كل الأفكار ووجهات النظر بأدلة ونصوص من كتاب المقدمة ونصوص العبر الجزأين السادس والسابع.

ج- الصعوبات:

وقد واجهتني أثناء إعدادي لهذا البحث المتواضع صعوبات عديدة منها:

- ضيق الوقت المخصص لإعداد المذكرة لم يسمح لي بالإحاطة بجميع جوانب الموضوع خصوصاً وأن

البحث يتعلق بموسوعة ابن خلدون العلمية في المنهج التاريخي.

- عدم وجود دراسات وفيرة تتناول كتابه في التاريخ بطريقة منهجية معمقة.

د- عرض الموضوع:

قسمت موضوع الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وتناولت في المقدمة: أهمية الموضوع وإشكاليته والمنهج المتبع والصعوبات وعرض الموضوع ثم تحليل

لأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

واستهلت الفصل الأول: بعنوان "ابن خلدون وعصره وفلسفته ومنهجه في كتابة التاريخ" وتحدثت في

بدايته عن اسم ونسب ابن خلدون وشيوخه والمناصب التي تقلدها في حياته، ومجمل الحياة العلمية والسياسية

في عصره وأثر كل ذلك في منهج كتابته للعبر، ثم تعرضت لفلسفته ومنهجه في كتابة التاريخ، وأهم القوانين التي استند إليها، وأسباب وقوع المؤرخين في المغالط حسبما ما أوردها في نص المقدمة.

أما في **الفصل الثاني**: "الكتابة التاريخية عند ابن خلدون من خلال كتابه الثالث في تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع)"، فقد بينت من خلاله منهج الكتابة عند ابن خلدون واستعرضت محتويات الكتابين وتنظيم المادة العلمية، والتوثيق عند ابن خلدون فوفقت على أهم المصادر التي اعتمدها والتي وردت متنوعة ما بين المصادر المكتوبة، والمشاهدة والمعاصرة والروايات الشفوية إلى مسألة توظيفه للتعديد والإحصاء، ثم بحثت في القواعد المنهجية التي وظفها ابن خلدون في العبر "الجزأين السادس والسابع"، وختمت الفصل بالحديث عن أسلوبه في الكتابة التاريخية.

وضمنت **الخاتمة** أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

هـ- تحليل ونقد لأهم المصادر والمراجع:

* **المصادر** : اعتمدت في هذا البحث بشكل أساسي على :

- عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ): "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ويعد من أهم مصنفات التاريخ الإسلامي بوجه عام والتاريخ المغربي بوجه خاص، برز فيه ابن خلدون كمنظر سياسي ومفكر ومؤرخ أبدى فيه فهماً للتاريخ بمعناه الحقيقي والشامل، وقد وظفت الجزأين السادس والسابع في كل البحث تقريباً لأهم محور هذه الدراسة، وقد استنبطت منهما منهج ابن خلدون من خلال محتوَاهم وتنظيم المادة العلمية، والتوثيق والإحصاء والقواعد المنهجية في كتابة التاريخ وأسلوبه في الكتابة.

- أما كتابه "المقدمة": فقد امتاز بأسلوب صعب، دقيق العبارات، استفدت منها في تغطية الجوانب الفلسفية والمنهجية عند ابن خلدون.

كما اطلعت على العديد من المصادر التي ترجمت لابن خلدون:

- كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ)، كتاب "أنباء الغمر بإنباء العمر" لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، كتاب "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" لأبي المحاسن جمال الدين (ت 874هـ)، وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي (ت 902هـ).

كما كانت الاستفادة من كتب التراجم في ترجمة لبعض الأعلام من العلماء والفقهاء ومنهم:

- كتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض" لأحمد بن محمد المقرئ (ت 1041هـ)، وهو موسوعة ضخمة جعل المقرئ محورها أخبار القاضي عياض، وقد ألم هذا الكتاب بالكثير من شؤون بلاد الأندلس وأحوال المسلمين، ووظفته في ترجمة الشيخ عبد المهيم الحضرمي، محمد ابن إبراهيم العبدلي الآبلي.

- كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (ت 626هـ)، وهو موسوعة غزيرة المادة شملت الأعلام والمعارف المتنوعة وحركة التدوين والتأليف إلى عصر ياقوت الحموي نفسه في القرن السابع الهجري، حيث تنوعت الترجمات فيه بين الشعراء والناشرين، والنعاة واللغويين والفقهاء والقراء ورجال الحديث، واستفدت منه في ترجمة كل من: علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، الطبري (ت 310هـ)، الرقيق القيرواني (ت 420هـ).

كما استفدت من بعض المصادر في إعطاء لمحة عن دول المغرب كدولة بني حفص وبني مرين وبني عبد الواد، ومنها:

- كتاب "الإعلان لأحكام البيان" لابن البناء اللخمي وكتاب "الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" لابن الشماخ (ت 9هـ/15م) يذكر فيه تاريخ الدولة الحفصية وسير سلاطينها، وينتهي عند السلطان أبي عمرو عثمان، واستفدت منهما في إعطاء لمحة عن الدولة الحفصية، أما كتاب "الفرسية في مبادئ الدولة الحفصية" لابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ)، فقد وظفته في إعطاء لمحة عن كل من دولة بني عبد الواد ودولة بني مرين.

* **المراجع:** استعنت بالعديد منها في فهم منهج ابن خلدون في المقدمة والمعايير والقواعد التي وضعها، إضافة إلى نظريته في فلسفة التاريخ، ومن هذه المراجع نذكر:

- الباحثة زينب الخضير في كتابها "فلسفة التاريخ عند ابن خلدون" إذ ترى مؤلفة هذا الكتاب أن ابن خلدون قد أعطانا بعض المفاهيم العبقريّة التي سبق بها عصره، بحيث جعلته مبشراً لكثير من مفكري العصر الحديث، فقد طبق مبدأ العلية على الدراسات الاجتماعية قبل مونتسكيو بأربعة قرون، وتوصل إلى قانون التقليد قبل تادر الفرنسي، إلى غير ذلك، واستفدت منها في إعطاء لمحة عن ملامح عصر ابن خلدون السياسية، وكذا في عنصر فلسفة التاريخ عند ابن خلدون.

- الباحثة سامية حسن الساعاتي في كتابها "ابن خلدون مبدعاً" والجديد في هذا الكتاب أن مؤلفته قد أفردته لإبداع ابن خلدون فكراً ومنهجاً، حتى أنها كشفت عن إبداع خلدون في علم الاجتماع القرآني،

وختمت هذا الكتاب بإبداع ابن خلدون في نظر علماء الغرب ومفكره، وقد وظفتها في عنصر المنهجية التاريخية عند ابن خلدون، وذلك لفهم بعض هذه القوانين المنهجية.

- الأديب طه حسين في كتابه "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" حيث عد ابن خلدون المؤسس الحقيقي للمفهوم الفلسفي للتاريخ الاجتماعي، والذي وظفته في قانون التشابه عند ابن خلدون.

*** الدوريات:** إضافة إلى بعض الدوريات التي أعانتي كثيراً في هذا البحث نذكر منها:

- دورية كان التاريخية التي شملت على عدة مقالات تناولت منهج ابن خلدون، ومن المقالات التي استعنت بها نذكر: مقال لخاليد فؤاد طحطح بعنوان "منهجية ابن خلدون التاريخية"، ومقال لعبد العزيز غوردو بعنوان "مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية".

- مجلة إسلامية المعرفة من خلال مقال لمحمد علي الأحمد "نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ- ابن خلدون نموذجاً".

- مجلة المؤرخ العربي من خلال مقال لزهية قدورة بعنوان "ابن خلدون والحقيقة التاريخية".

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور "الطاهر بو نابي" الذي أشرف على هذا العمل، وزودني بمجموعة من النصائح والإرشادات التي كانت عوناً لي في هذا البحث، وأنارت الجوانب المظلمة منه.

الفصل الأول

ابن خلدون عصره وفلسفته ومنهجه في كتابة التاريخ

1- التعريف بابن خلدون

2- عصر ابن خلدون السياسي والفكري

3- فلسفة ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ

ابن خلدون عصره وفلسفته ومنهجه في كتابة التاريخ

قبل دراسة فلسفة ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال كتابة المقدمة، لابد لنا من تقديم نبذة موجزة عن ابن خلدون والعصر الذي عاش فيه، والذي كان له أكبر الأثر في تكوين فكره.

1- التعريف بابن خلدون¹ :

عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ) شخصية فذة، حظيت بمكانة رفيعة بين المفكرين والعلماء في العالم الإسلامي، ليس في المغرب والأندلس لوحدها، أو في القطر العربي، بل في العالم أجمع، فكان صاحب عبقرية جامعة، شاملة لمختلف فنون عصره في التاريخ والجغرافيا، في السياسة والاقتصاد، في العمران والعلم، في النثر والشعر. فمن هو هذا العلامة والمفكر الإسلامي؟

أ- اسمه ونسبه : هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، يرجع نسبه إلى الصحابي وائل بن حجر من القبائل العربية اليمنية، وباختصار فإن ابن خلدون ينتمي إلى عائلة عريقة في العلم والسياسة، حيث رحل جده الأول خلدون بن عثمان إلى الأندلس في أواخر المائة الثالثة واستقر بها، وأصبحت عائلته من أعيان إشبيلية، ثم نظرا إلى الاضطرابات السياسية وما لحق بالأندلس من اختلال دفع بني خلدون في أوائل المائة السابعة للحاق بالحفصيين بتونس فأكرموا نزلهم وولوا جديده الأول والثاني بعض المناصب في دولتهم.

ولد ابن خلدون في تونس في غرة رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة هجري (732هـ) الموافق لـ السابع والعشرين مايو اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف ميلادية (1332م).

وقد ترب وترعرع في حجر والده الذي أحسن تأديبه وتعليمه، حيث قرأ عليه العربية، وسهل له طريق العلم فحفظ القرآن وأتقن قراءاته.

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، ج7، ص 503-514. لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عدنان، ط1، منشورات الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1395هـ/1975م، ج3، ص 497-516. الحافظ بن حجر العسقلاني (ت 852هـ): إنباء الغمر بإنباء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ج2، ص 339-340. أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغر بردي الأتابكي (ت 874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ج13، ص 112 ; والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أحمد أمين، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ج7، ص 205-209. وشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت 902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، دار الجبل، بيروت، 1412هـ/1992م، ج4، ص 145-149. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: مج6، ص 171-192.



ب- شيوخه : درس عبد الرحمان ابن خلدون عن كبار علماء عصره، وتتلמד على أيديهم فأجازوه وشهدوا له بالإتقان، حيث حفظ المتون، وقرأ كتباً وشروحاً كثيرة في شتى العلوم، كعلوم القرآن، والفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والعربية وفنونها من المنظوم والمنثور والعلوم العقلية بكل تفارعها، ومن أشهر شيوخه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن نزال الأنصاري¹، أبو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي²، ومنهم كذلك: شيخ العلوم العقلية في عصره أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي³، والشيخ أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان المالقي⁴، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور⁵، أبو عبد الله محمد بن النجار⁶، وقد كان كثير من شيوخه قد جمعوا بين السياسة والعلم، وهو ما قد يفسر لنا انخراط ابن خلدون المبكر في السياسة.

ج- المناصب التي تقلدها: اندمج ابن خلدون في السلكين الإداري والسياسي سواء في تونس أو في مصر، حيث تقلد العديد من المناصب الحكومية الرفيعة ومن ذلك تعيينه كاتب في بلاط أبي إسحاق الحفصي بتونس سنة 753هـ/1352م، وفي سنة 761هـ/1360م كاتب للسلطان أبو سالم المريني، كما حظي في عهده بمنصب خطة المظالم، وسفيراً إلى أمير قشتالة في عهد محمد ابن الأحمر، كما شغل وظيفة الوزارة والحجابه، فتولى الحجابه في البلاط الحفصي ببجاية سنة 766هـ/1365م، ناهيك عن الخطابة والتدريس في جامع القصبة، ثم تعيينه قاضي القضاة بالمالكية في مصر سنة 786هـ/1385م، وقيامه كذلك بالتدريس في المدرسة الظاهرية البروقية عام 788هـ/1387م، ثم شغله وظيفة سفير بين سلطان مصر وتيمور لنك، وقد مارس كل ذلك في سياق الوقائع وضروب من المنافسات والنزاعات والمخاصمات والانقلابات السياسية، كان في بعضها طرفاً فاعلاً وموجهاً، وكل ذلك اندرج واندمج في كتاباته.

¹ - أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها، وكان إماماً في القراءات. ابن خلدون: العبر، ج7، ص511.
² - ولد عبد المهيمن الحضرمي بسبتة سنة 676هـ وهو إمام المحدثين والنحاة بالمغرب، كاتب السلطان أبي الحسن المريني، وكان أبوه قاضياً، درس على يد الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، وبرز في علوم الإسناد، وكانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربية والأدب المعقول وسائر الفنون. : لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ): أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، تحقيق: محمد كمال شبانة، منشورات اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب - الإمارات العربية المتحدة، 1977، ص 99-100 ؛ وابن خلدون : العبر، ج7، ص 513. وشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهرايس، منشورات اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب- الرباط، 1400م/1980، ج5، ص 55 ؛ ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص240. أحمد ابن القاضي المكناشي (ت 1025هـ) : جذوة الاقتباس- في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس-، دار المنصورية للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 ، ص444.

³ - ولد محمد ابن إبراهيم العبدري التلمساني الشهير بالآبلي سنة 681هـ، أصله من الأندلس من أبلة انتقلت عائلته إلى تلمسان، أين نشأ بها في كفاية جده القاضي، فمال إلى انتحال العلم فأتقن العلوم العقلية، تتلمذ على يد عدد غير قليل من مشيخة عصره جده محمد بن غليون، خلوفي المغيلي اليهودي وموسى بن الإمام، وأبو الحسن التنسي ... كما استوعب فلسفة العقلانيين أمثال: ابن رشد، ابن سينا، الرازي، وقد تعلم ابن خلدون منه مبادئ الفلسفة والمنطق والرياضيات وعلم الأصول وسائر فروع الحكمة؛ ابن خلدون: العبر، ج7، ص513-514 ؛ أحمد باب التنبكتي (ت1036هـ): نيل الابتهاج بنطريز الديباج، ط1، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرمة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ (1989م)، ج1-2، ص 411-416.

المقرئ: أزهار الرياض، ج5، ص60-66؛ نفح الطيب: ج5، ص244، وابن القاضي: جذرة الاقتباس، ص304.
⁴ - نشأ أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البحاري بمالقة، أصله من الأندلس، كان حذق في العربية والأدب، وتفنن في العلم، ونظم نثر، وكان مجيداً في الترسيل، ومحسناً في كتابة الوثائق. ابن خلدون: التعريف ضمن تاريخ ابن خلدون، ج7، ص523-524.

⁵ - كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور مبرزاً في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، تفقه فيه على الأخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام، وهو من أعمال ندرومة، ونسبه في صنهاجة؛ المصدر السابق، ج7، ص526.

⁶ - نفسه، ج7، ص527.

2- عصر ابن خلدون السياسي والفكري:

لا يمكن الفصل بين الإنجاز العلمي الذي قدمه ابن خلدون للإنسانية وبين طبيعة الحياة السياسية والثقافية التي عاصرها وشكلت ملامح فكره وتكوينه المعرفي.

أ- الجانب السياسي: ملامح الحياة السياسية في تلك الحقبة هي الملامح التي أثرت على رؤية ابن خلدون الفكرية والتي يعكسها كتاب العبر بجميع أجزائه، ففي هذا العمل وضع ابن خلدون خلاصة تجاربه وبرز كمؤرخ أمسك بقوانين التاريخ، ناهيك على أن (القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي) كان من الناحية السياسية قرناً للتغيرات التاريخية¹، ففي المغرب الإسلامي انهارت دولة الموحدين (622هـ) وانقسمت تلك المنطقة إلى ثلاث دويلات: دولة بني حفص (625هـ-941هـ/1228-1534م)² وعاصمتها تونس، ودولة بني عبد الواد (633هـ-924هـ/1236م-1518م)³ في المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان ودولة بني مرين (591-957هـ/1195-1550م)⁴ في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس، وكان الصراع على أشده بين هذه الدول، بين المرينيين وبني عبد الواد من جهة، وبين هؤلاء الحفصيين من جهة أخرى، وقد قوي هذا الصراع وزاد من تفاقم الأوضاع وقيام إمارات في كل من بجاية وقسنطينة، واستقلال القبائل الكبرى وعدم استقرار ولائها لهذا الجانب أو ذاك، أما بالنسبة للدولة الإسلامية فقد كانت هذه الفترة بالنسبة لها فترة تدهور وانحدار، فقد سقطت الخلافة العباسية في بغداد، على أيدي المغول بقيادة تيمور لنك سنة (656هـ/1258م)، وفي الأندلس فقد كان النصارى يتحفزون للقضاء على ما تبقى منها في أيدي المسلمين، إذا كانت أهم مراكز الحضارة الأندلسية قد سقطت في أيديهم وأعني طليطلة وقرطبة وإشبيلية، ولم يبق لديهم إلا قطعة صغيرة في الجنوب الغربي تكاد تنحسر في غرناطة بين المرية وجبل الفتح، وكان بنو الأحمر

¹ - مجموعة باحثين: ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، 2008م، ص 34.
² - مؤسسها هو أبي حفص يحيى بن عمر من قبيلة هنتانة، ويعتبر القرآن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) من أشد الفترات عليها، فقد أشرفت على الانقسام؛ هذا على الصعيد السياسي، أما في الجانب الفكري فعلى العكس تماماً فقد عرفت نوع من الازدهار الثقافي، وذلك نتيجة الامتزاج بين الثقافة الأندلسية والثقافة المشرقية والثقافة القيروانية وذلك لعناية سلاطينها باستقطاب العلماء وتشجيع الهجرة، يرجع إلى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي ابن الرامي البناء: الإعلان بأحكام البنين، تحقيق: فريد بن سليمان، تقديم: عبد العزيز النولاتي، مصر: منشورات مركز النشر الجامعي، 1999م، ص 14، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماخ: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 8.
³ - كانت دولة بني عبد الواد دولة واقعة بين أطماع بني حفص في تونس، وبني مرين في المغرب، وتجدر الإشارة إلى أن الحياة الثقافية بتلمسان ازدهرت فكانت ثلاثة الحواضر الكبرى بالمغرب وهي تونس وفاس وتلمسان. أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ابن الخطيب ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، ص 37.
⁴ - بلغت دولة بني مرين أوج قوتها في عهد سلطانها أبي الحسن المريني، تمتاز الدولة المرينية بأنها أسحت المجال للمذهب المالكي الإفصاح الذي أذهب تلك القطيعة التي كانت بين أئمة المذهب المالكي والدولة الموحدية، وهذا ما رغب وجعل علماء وفقهاء عصرها يندمجون في رجالها ويعملون على خدمتها، ونتيجة تشجيع السلاطين للعلم والعلماء اشتهرت علوم كثيرة في ذلك العصر؛ ابن قنفذ: الفارسية، ص 34.



هم الذين يحكمون المنطقة إلا أنهم كثيراً ما كانوا يتنافسون فيما بينهما على الحكم¹، وكان ابن خلدون قد تقلد مناصب عديدة كما أشرنا في ظل دولة بني حفص ودولة، بني عبد الواد، ودولة بني مرين، ودولة بني الأحمر، فارتبطت حياته وتجربته السياسية بختام هذه الدول وصيرورتها التاريخية، فحمل أعباء وظائفها الديوانية والسياسية، وتقلب بين نزعات ملوكها، دارساً لأحوالها، ومحللاً لأمرها ومتغلغلاً في علاقاتها وخصوصاً فيما تعلق بالقبائل البربرية والهلالية، مستكشفاً مواطن استقرارها ونجعها وطبائعها وتقاليدها وأحوالها.

ب- الجانب العلمي والفكري:

هذه الأوضاع السياسية المضطربة ما كان لها أن تساعد على قيام حركة فكرية نشيطة، لقد شهد العالم الإسلامي عامة والمغرب العربي خاصة تقهقراً وتراجعاً خطيرين في الناحية العلمية والثقافية خلال هذا القرن الثامن للهجرة، وقد ترك لنا ابن خلدون وصفاً دقيقاً وشاملاً لحال المعلم وأهله في عصره، كما قدم لنا صورة حية كشف فيها عن وقوف الفكر الإسلامي وجموده واقتصر على اجترار ما قرره السلف في ميدان العلوم الدينية وانصرافه كلية عن العلوم العقلية².

فعلوم القرآن من تفسير وقراءات قد انتهى البحث فيها واقتصر الناس على تلخيصها ونظمها، مثلما فعل الخراز (ت 718هـ/1319م)³ من المتأخرين بالمغرب الذي نظم أرجوزة "اشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها"⁴، ومثل ذلك فعل أبو محمد بن عطية (ت 542هـ/1148م)⁵ في التفسير، إذ لخص التفاسير السابقة "ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس"⁶، وكذلك الشأن فيما يتعلق بعلم الحديث فلقد "انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين ... وإنما تنصرف العناية لهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة ... ولم يزدوا في ذلك العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمس⁷ إلا في الأقل"⁸، وفي الفقه أغلق باب الاجتهاد واقتصر الناس على اتباع الأئمة الأربعة: مالك وأبي حنيفة والشافعي

¹ - زينب الخضير: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص13.

² - محمد عبد الجابري، المرجع السابق، ص30.

³ - هو محمد بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأموي الشريشي، الشهير بالخراز: عالم بالقراءات أصله من شريش، له كتب منها "مورد الظمان في رسم أحرف القرآن"، "أرجوزة"، "الدر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع". الزركلي: الأعلام قاموس وتراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج7، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص33.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ج6، ص553.

⁵ - ولد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية المحاربي من محاربة قيس، الغرناطي أبو محمد سنة (481هـ/1088م)، مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث له شعر، ولي قضاء المرية، له "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"؛ الزركلي: الأعلام، المرجع السابق، ج3، ص282.

⁶ - نفسه، ج6، ص555.

⁷ - المقصود بالأمهات الخمس في الحديث هي الكتب التالية: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي.

⁸ - ابن خلدون: المقدمة، ج6، ص560.

وابن حنبل، "ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ودرس المفكرون لمن سواهم، وسد الناس باب الخلاف، ... فصرحوا بالعجز والإعواز وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء"¹، وقد انتهى العمل في أصول الفقه إلى المختصرات، مثل مختصر ابن الحاجب "الذي عني أهل المشرق به ومطالعتة وشرحه"².

وإذا كانت هذه هي حالة العلوم النقلية الشرعية، فإن حظ العلوم العقلية كان أسوأ بكثير، حيث يقول ابن خلدون: "فإن المغرب والأندلس لما ركدت ريح العمران بهما، وتناقصت العلوم بتناقصه، إضمحل ذلك منهما، إلا في الأقل من رسومه تجدها في تفاريق من الناس، وتحت رقبة من علماء السنة"³.

فبخصوص المنطق اقتصر الناس على "مختصر الجمل، ... في قدر أربعة أوراق ... وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن"⁴، أما الفلسفة وفروعها فلا تسأل عن مدى عناية الناس بها، بل عن مدى نبذهم لها وتكفيرهم المشتغل بها، فبعد هجوم أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) على الفلسفة والفلاسفة، وبعد محنة ابن رشد (ت595هـ/1198م) ومنشور الخليفة الموحي يعقوب المنصور الذي أمر بإحراق كتب الفلسفة، ثم فتوى ابن الصلاح الشهرزوري (643هـ) التي ورد فيها "الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والظلال، ومثار الزيف والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة"، بعد كل ذلك لم تزد حملة الفقهاء على الفلسفة وعلومها إلا شدة وعنفاً⁵.

في حين يتفق مؤرخو الفكر المغربي والأندلسي على أن القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وهو العصر الذي عاش فيه فطاحل العلماء والفقهاء، وفحول الشعراء والأدباء الذين انصهروا في بيئة المغرب الإسلامي، ونخلوا من معينها، فأفادوا واستفادوا وتناظروا، وعلموا، وكتبوا وأنتجوا إنتاجاً يتميز بأصالته وجدته، وقد احتفظت لنا خزائن الكتب في المغرب العربي بكثير من هذا الإنتاج، الذي لم ينشر منه إلا جزء ضئيل جداً⁶ ونذكر من هؤلاء العلماء إضافة إلى "ابن خلدون"، "ابن الخطيب" (ت776هـ/1374م)⁷. و"ابن مرزوق" (ت781هـ/1380م)⁸.

¹ - ابن خلدون : المقدمة، ج6، ص566.

² - نفسه، ج6، ص570.

³ - نفسه، ج6، ص633.

⁴ - نفسه، ج6، ص647.

⁵ - محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي - ، ط6، منشورات مركز دراسات

الوحدة العربية، بيروت، 1994م ، ص31-32.

⁶ - مجموعة باحثين: المرجع السابق، ص29.

⁷ - هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، ولد سنة 713هـ/1313م، وزير ومؤرخ أديب، ولد ونشأ بغرناطة، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً منها "الإحاطة في تاريخ غرناطة"، و"الإعلام في من بوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"، و"اللمحة البدرية في الدولة النصرية"... توفي سنة 776هـ/1374م. يراجع: الزركلي: المرجع السابق، ص9-75.

⁸ - هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، أبو عبد الله شمس الدين، ولد سنة 710هـ/1311م فقيه وجيه خطيب، من أعيان تلمسان له كتباً منها "شرح عمدة الأحكام"، و"شرح الشفاء"، و"المفاتيح المرزوقية"، و"إيضاح المرائد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد"، و"الإمامة"، توفي سنة 781هـ/1380م. يراجع: الزركلي: الإعلام، ج5، ص328.

و"ابن البناء المراكشي" (ت721هـ/1321م)¹، و"ابن رشيد السبتي" (ت721هـ/1321م)²، و"إبراهيم بن الحاج النميري" (ت762هـ/1367م)³، و"ابن بطوطة" (ت779هـ/1377م)⁴ وغيرهم من الأعلام الذين تواجدوا على الساحة العلمية والأدبية للمغرب العربي، وإذا كان هذا العصر قد تميز بـ - كما أسلفنا - بغزارة الإنتاج العلمي لعمالة الفكر في المغرب الإسلامي، إلا أنه يمكن القول بأن أداب الرحلات هو من أهم الآثار التراثية التي ميزت هذه الحقبة، فقد جاب عدد كبير من الرحالة المغاربة والأندلسيين بلاد المغرب الإسلامي، وجاسوا فيه خلال الديار، وفحصوا أغواره، وأنجاده، واقعين لنا بدقة الأحوال السياسية، والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية لهذه البلاد.⁵ ومنها "رحلة ابن رشيد الفهري" الذي تعد رحلته سجلاً وافياً، ومكتبة يقرأ منها من علماء العصر الذين التقى بهم، وهذا على العكس من "إبراهيم بن الحاج النميري" الذي لم يقصد من الموضوع قصداً في تدوين رحلته "فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب" وإنما الظروف الخاصة وظروف الاحتكاك الطارئ هي التي أملت عليه الاهتمام بالشخصيات العلمية التي ذكرها، أما "ابن بطوطة" فقد كان يتقصى البحث عن العلماء ويكثر الحديث عن القضاء والفقهاء، في حين اهتم "ابن الخطيب" بتدوين المعلومات عما رآه من الزوايا والمدارس في أنحاء المغرب الأقصى.⁶

تلك كانت على العموم أبرز معالم هذا العصر السياسية منها والفكرية، فلقد تعرف ابن خلدون على أحداث هذا العصر عن كثب، ودرس على علمائها وعاشرهم واحتك بهم، وعاش قسماً مهماً من حياته في قصور الملوك والأمراء، فتعرف على أحوالهم وأسلوب معيشتهم، وشاركهم اهتماماتهم ومشاكلهم... مما كان له أكبر الأثر في تكوين فكره.

¹ - هو أحمد بن محمد بن عثمان الأسدي العددي، أبو العباس ابن البناء، ولد سنة 654هـ/1256م بمراكش، رياضي باحث من تصانيف "حاشية على الكشف"، و"كليات" في المنطق، "منتهى السؤل في علم الأصول"، و"الروض المربع في صناعة البديع"... توفي بمراكش سنة 721هـ/1321م. يراجع: الزركلي: الإعلام، ج1، ص222.

² - هو محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محي الدين ابن رشيد الفهري السبتي، ولد سنة 657هـ/1259م، رحالة عالم بالأدب، عارف بالتفسير والتاريخ، وصنف رحلة سماها "ملئ العينه فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة" ومن كتبه "تلخيص القوانين"،... توفي بفاس سنة 721هـ/1321م. يراجع: الزركلي: الإعلام، ج6، ص314.

³ - هو إبراهيم بن عبد الله إبراهيم النميري، أبو القاسم المعروف بابن الحاج، ولد سنة 713هـ/1313م، أديب أندلسي، من كبار الكتاب، له تصانيف منها "المساهلة والمسامحة في تبين طرق المداعبة والممازحة"، ورحلة سماها "فيض العباب، وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والرابع"، توفي سنة 762هـ/1367م، يراجع: الزركلي: الإعلام، ج1، ص49.

⁴ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة، ولد سنة 703هـ/1304م، رحالة مؤرخ، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى، صاحب "تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، توفي في مراكش سنة 779هـ/1377م. يراجع: الزركلي: الإعلام، ج6، ص235-236.

⁵ - مجموعة باحثين: المرجع السابق، ص30.

⁶ - مجموعة باحثين، المرجع نفسه، ص30-33.

3- فلسفة ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ:

يعد ابن خلدون هو أول من تحدث في معنى التاريخ وفلسفته، وحاول أن يضع تعريفاً دقيقاً له يتميز به عن غيره ممن سبقوه وعاصروه، ويضع أصوله وقوانينه ومنهجيته، ولأجل هذا عده بعض الباحثين واضع علم فلسفة التاريخ، ومبتكر نظريته قبل العالم الإيطالي "فيكو" (ت1744م)¹ بمدة تزيد على ثلاثة قرون ونصف القرن.²

أ- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون :

تميز عبد الرحمان ابن خلدون في فلسفته التاريخية عن علم فلسفة التاريخ إجمالاً في كونه اعتبر التاريخ فرع نوعي من المعرفة يهتم بكامل مجالات الظواهر الاجتماعية للتاريخ الفعلي، ويكشف المؤثرات المختلفة التي تعمل فيه وباستمرار من حيث الأسباب والنتائج، وبالمكونات الفيزيائية والنفسية، وبالتالي لم يكن التاريخ بالنسبة إليه مجرد تسجيل للحوادث، بل وصفاً للعلاقات الاجتماعية، ومن هنا اعتبر مؤسس علم التاريخ.³

قبل عصر ابن خلدون كان هم المؤرخين والمطلعين بشؤون الأخبار نقل الروايات بأمانة، وتسجيلها بدقة وتحصيل مادة وفيرة منها، ونقل الماضي بأمانة، ما جعل قراءة الخبر مفيدة والعبرة منه أكيدة.⁴

ولئن تميز المؤرخين القدامى بالأمانة في النقل وغزارة المادة التي تضمنتها كتبهم، فإن ابن خلدون قد أضاف إلى ذلك اسهاماً آخر ظهر في ناحيتين:

تمثل الأول: في تفريقه بين التأريخ وفلسفة التاريخ أو التاريخ التحليلي.

وتجلى الثاني: في تساءله الدائم عن علل الحوادث والوقائع وأسبابها، ومحاولة الوصول إلى إجابات منطقية مستمدة من معرفته، بطبائع العمران.⁵

فابن خلدون من خلال مقدمته وضع معايير في معالجة الوقائع التاريخية، تسمح للمؤرخ بالتمييز بين الأخبار الصحيحة والمغلوبة.

¹ - ولد جواني باتيست فيكو في نابولي سنة 1667م، وتوفي في المدينة نفسها سنة 1744، ودرس فيكو اللغات القديمة، والفلسفة الدرسانية، وعلم اللاهوت، وعلم الحقوق، بعدها صار فيكو أستاذاً للبلاغة في جامعة نابولي، ثم ألف كتاب أسماه "العلم الجديد" وشهرته العلمية قامت على هذا الكتاب أنظر: ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ط3، مكتبة الخانجي- دار الكتاب العربي، القاهرة- بيروت، 1387هـ-1967م، ص ص 178-179.

² - خالد فؤاد طحطح: "منهجية ابن خلدون التاريخية"- دورية كان التاريخية- ع7، مارس 2010، ص 57.

³ - عبد العليم عبد الرحمان خضر: المسلمون وكتابة التاريخ - دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ- منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1993م، ص139.

⁴ - مجموعة باحثين: المرجع السابق، ص50.

⁵ سامية حسن الساعاتي: ابن خلدون مبدعاً - قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع- ، ط1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م ، ص17.

- طبائع العمران وقوانينه: أجرى تحقيقات هامة على تراث أسلافه من المؤرخين كـ "المسعودي" (ت346هـ/957م) و"الطبري" (ت310هـ/922م) و"ابن هشام" (ت218هـ/834م) و"ابن إسحاق" (ت151هـ/768م) و"الواقدي" (ت207هـ/822م) و"البلاذري" (ت249هـ/863م) و"ابن عبد الحكم" (ت257هـ/871م)...، فاستبعد عددا من الأخبار على أنها محض اختلاق، غير ممكنة الحدوث بسبب طبائع العمران وقوانينه، وشك في صحة كثير منها¹، وقد قال في ذلك ابن خلدون: "أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل: التوحش، والتأنس، والعصبيات، وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر في أعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"².

- النقد الباطني: وأعمال ابن خلدون قانون المطابقة قد جره إلى الكشف عن القوانين الاجتماعية، وذلك لكي يجعل منهابوجه برهاني معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه، فإذا كان أهل الحديث يركزون جهودهم على النقد الذاتي، فقد اكتشف ابن خلدون أهمية النقد الباطني³.

- فكرة التطور التاريخي: وقد عني ابن خلدون بظاهرة الصيرورة التاريخية أو فكرة التطور التاريخي في الحياة الاجتماعية، عناية فائقة، جعلته يتفوق على جميع المؤرخين، فقد لاحظ تبدل الأحوال في الأمم والأجيال، وتنبه إلى أن لكل جيل أحواله وعوائده التي لا تبقى على وتيرة واحدة، بل تختلف باختلاف الزمان والمكان⁴.

كما وضع ابن خلدون نظرية التعاقب الدوري للدول في تاريخ الفكر الإنساني، من حيث بعدها الاجتماعي والفلسفي العام، فقد توصل إلى الاقتناع بفكرة التعاقب في الحضارة، وقارن في دائرة التغيير بين الإنسان والمجتمع، فالمتجمع في نظره عمر يمر به كعمر الإنسان، الذي يولد ثم يكتمل نموه ثم يهرم ويموت، وعلى هذا الأساس تمر الدولة بالمراحل التالية: بداوة، وازدهار، وتدهور⁵.

¹ - علي عبد الواحد وافي: عبقرية ابن خلدون، ط2، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1404هـ/1984م، ص122-123.

² - ابن خلدون: المقدمة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1431هـ/2001م، ص46.

³ - خالد فؤاد طحطح: "منهجية ابن خلدون التاريخية"، ص59.

⁴ - عبد العليم عبد الرحمان خضر: المرجع السابق، ص139.

⁵ - خالد فؤاد طحطح: "منهجية ابن خلدون التاريخية"، ص60.



فابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ، وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان ومكان¹.

فلم يستند ابن خلدون في حديثه عن فلسفة التاريخ إلى أي تراث منهجي أو مفهومي سبقه في تسمية الواقع التاريخي الماثل أمامه وتحليله، لذلك كان مفهومه عن علم العمران وعن وقائع التاريخ مستمداً من الواقع الذي يحياه بنفسه، وكانت لغته واضحة ليس لها من المفردات الفلسفية الأخرى إلا القليل، وقد استخدم لغة جديدة في الحديث عن التاريخ وفلسفته وأراد التعبير عن ذاته بفكر أصيل ومفردات جديدة خاصة به، ولم يلجأ إلى مفاهيم ومفردات مستعارة يستخدمها في تفريغ أفكاره وتصوراتهِ عن العلم الجديد من الثقافة المتداولة القائمة حوله².

وقد تحدث ابن خلدون عن جوانب هذا العلم قائلاً: "فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والعصور، في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حدث، واقفاً على أصول كل خبر، المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً، وإلا زيفه واستغنى عنه"³.

ولأجل احتطاطه قواعد جديدة لهذا العلم حق له التباهي والقول: "لي الفضل لأني نهجت له السبيل، وأوضحت له الطريق"⁴.

ب- المنهجية التاريخية عند ابن خلدون :

يعرف ابن خلدون التاريخ في المقدمة بأنه: "فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال ... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، ...

¹ - زينب الخضير: المرجع السابق، ص11.

² - محمد علي الأحمد: "نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ- ابن خلدون نموذجاً"، مجلة إسلامية، المعرفة، بيروت، ع51،

1428هـ/2007م، ص 11-15.

³ - ابن خلدون: المقدمة، ص37.

⁴ - نفسه، ص52.



وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق¹.

ويقصد ابن خلدون بـ "نظر وتحقيق"² أي رفض للسرد والإخبار وتنويه بضرورة تأسيس نظرية متماسكة لتفسير وفهم الوقائع والأخبار والأحداث، ويمكن القول أن مفهوم التاريخ عند ابن خلدون يتحدد من خلال عبارتين جوهريتين وهما: "التاريخ تحليل للكائنات ومبادئها"³، ويعني بذلك معرفة علة الشيء أو الحدث وسببه، أما العبارة في قوله: "علم بكيفيات الوقائع وأسبابها"⁴ بمعنى البحث في أسباب حركة الوقائع والنظر إليه كضرورة متحولة وفق هذه الأسباب، فالتاريخ عند ابن خلدون هو الواقع الاجتماعي والعمراني منظوراً في أسباب وجوده وأسباب حركته وتغيراته، وبالتالي فمنهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية يستند إلى :

- **قانون التشابه:** (العلم بقواعد السياسة وطبائع العمران): يشدد ابن خلدون على ثقافة المؤرخ التاريخية ويشير إلى ما ينبغي أن يتحلى به من الصفات، وما يحمله من المؤهلات، وما يمتلكه من الأدوات التي تمكنه من السعي نحو الحقيقة التاريخية فيقول: "إذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات واختلاف أمم والبقاع والأمصار في السير والأخلاق والعوائد، والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف"⁵. ويقول أيضاً: "أن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب، فرما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن الجادة الصواب"⁶.

فالمجتمعات البشرية كلها تتشابه من بعض الوجوه، ويرجع ابن خلدون هذه التشابهات إلى الوحدة العقلية للجنس البشري⁷.

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص6.

² - نفسه، ص6.

³ - نفسه، ص6.

⁴ - نفسه، ص6.

⁵ - نفسه، ص37.

⁶ - نفسه، ص13.

⁷ - طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - تحليل ونقد-، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1343هـ/1925م، ص43.

وهناك سبب آخر للتشابه الاجتماعي وهو التقليد ويتحدث ابن خلدون في فصل كامل عن "أن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده"¹.

— **قانون التباين (التطور):** أن الأمم تتبدل بتبدل الأزمان والأحوال، وأن قانون التشابه ليس مطلقاً يقول ابن خلدون: "وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونخلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول"².

— **قانون القياس بالشاهد على الغائب :** مبني على قاعدة أن حكم الشيء حكم مثله، والقياس في اللغة تقدير الشيء بغيره، ويفيد ذلك في معرفة الأسباب، أو البرهان على القضية الكلية واعتبار الغائب بالشاهد طريقة من طرق الاستدلال باستخدام ما يعرف بقياس التمثيل والتعليل³.

والقياس في الحقيقة هو الاستنتاج غير المباشر الذي هو في حقيقته استنتاج حقيقي، لأنه انتقال من قضيتين أو عدة قضايا إلى قضية نهائية هي النتيجة، ويلجأ العقل إلى الاستنتاج الغير المباشر أو القياس، في الأحوال التي يكون فيها الاستنتاج المباشر غير ممكن، والقياس استدلال في صميمه الكشف عن الأسباب أي الربط بين العلل والمعلولات، والمبدأ الذي يستند إليه القياس هو المبدأ القائل بأن ما يصدق على الجنس يصدق على النوع وعلى جميع أفراد⁴.

ولقد استخدم ابن خلدون القياس كقاعدة من قواعد منهجه للاستدلال على صحة أدائه وقوانينه العمرانية، ولكي يبرهن على صحة أحكامه، يلجأ إلى القياس، ومن الأمثلة على ذلك قوله في البرهنة على أحد قوانينه: "في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة"⁵. وقوله: "وعلى هذه النسبة في إعداد المتغلبين لأول الملك، يكون اتساع الدولة وقوتها، وأما طول أمدها فعلى تلك النسبة، لأن عمر الحادث من عمر قوة مزاجه، ومزاج الدولة إنما هو بالعصبية، فإذا كانت العصبية قوية، كان المزاج تابعا لها، وكان أمد العمر طويلاً والعصبية إنما هي بكثرة العدد ووفوره"⁶.

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص184.

² - ابن خلدون: المقدمة ، ص37-38.

³ - سامية حسن الساعاتي: المرجع السابق، ص162.

⁴ - نفسه، ص 162.

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، ص204.

⁶ - نفسه، ص205.



ويعرض عدم القياس في تمحيص الأخبار والروايات أو القوانين العمرانية بوجه عام للخطأ والزلل، ويقول ابن خلدون: "وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"¹.

— **قانون السببية** (تعليل الحوادث وربطها بأسبابها): يرى ابن خلدون أنه لا بد للمؤرخ من معرفة طبائع العمران، فلكل حادث من الحوادث طبيعة تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله، لا بد لكل حادث من محدث، وبهذا لم يعد التاريخ وصفاً للوقائع وإنما هو: "في باطنه نظر وتحقيق، وتحليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"².

فالمنهج الخلدوني يقوم على تحليل الحوادث التاريخية ومعرفة عللها، ولما كان لكل حادث محدث فلا بد إذا وقع الحادث أن تعقبه النتيجة، فثمة علاقة تلازم في الحدوث، وهكذا ترى كلما لاحظ الإنسان أن حادثين قد أطرده وقوعهما بحيث إذا وقعت الأولى فلا بد كذلك أن تقع الثانية، وأطلق على هذه العلاقة الضرورية بين الحوادث اسم السببية³.

— **قانون المطابقة** (قانون الإمكان والاستحالة): وهو مطابقة الخبر الوقائع، يقول ابن خلدون: "وأما الأخبار عن الوقائع فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة، فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعها"⁴، ويشير ابن خلدون في مكان آخر إلى مطابقة الخبر للأحوال والعوائد والنحل لأن "ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار هو أس المؤرخ تبني عليه أكثر مقاصده وتبين له أخباره"⁵.

ويفضل ابن خلدون تمحيص الخبر بمحاكمته على أساس معياره الذي وصفه، على سلوك طريق التعديل (تعديل الرواة)⁶، ويقول ابن خلدون: "وتمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق على التمحيص

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص13.

² - نفسه، ص6.

³ - عبد القادر عرابي: "قراءة سوسيولوجية في منهجية ابن خلدون"، ضمن كتاب الفكر الاجتماعي الخلدوني- المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004م، ص52.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ص49.

⁵ - نفسه، ص42.

⁶ - زهية قدورة: "ابن خلدون والحقيقة التاريخية"، مجلة المؤرخ الغربي، منشورات الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، ع1، 1975م، ص57.



بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة النظر في التعديل والتحريج"¹.

وبعبارة أخرى، يرفض ابن خلدون الخبر إذا استحال وقوعه مهما كانت منزلة راويه.

اتبع ابن خلدون منهجاً جديداً في التعامل مع الروايات التاريخية لتمحيصها والتدقيق في صحتها وكشف الزيف والكذب والمبالغات والتحريفات التي لا تعترها، ويعد هذا المنهج سبقاً علمياً في نقد الأخبار لم يأخذ به أي من المؤرخين العرب المسلمين من قبله، إذ اعتمد هؤلاء - في الأغلب - أسلوب الرواية السردية دون أي تدخل في الأخبار والروايات عند نقلها وتدوينها، والمنهج الذي اتبعه ابن خلدون وفق وجهة نظره يجنب لروايات تدخل أصحاب الأهواء فيها، ويجعلها أكثر قبولاً، وهو يعزو ما تعنيه هذه الأخبار والروايات من تدليس وكذب ومبالغات وأخطاء منهجية إلى أسباب عدة منها:

التشيع للآراء والمذاهب²، الثقة بالناقلين والرواة³، الذهول عن المقاصد⁴، توهم الصدق⁵، الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما بداخلها من التلبيس والتصنع والتقرب لأصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال⁶، والجهل بطبائع الأحوال في العمران⁷.

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ص 48-49.

² - ابن خلدون: المقدمة، ص 46.

³ - نفسه، ص 46.

⁴ - نفسه، ص 46.

⁵ - نفسه، ص 46.

⁶ - نفسه، ص 46-47.

⁷ - نفسه، ص 47.

الفصل الثاني

الكتابة التاريخية عند ابن خلدون من خلال
كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية
(الجزأين السادس والسابع)

1- محتوى الكتاب الثالث في تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية من كتاب العبر

وتنظيم المادة التاريخية

2- الأدوات المنهجية:

3- أسلوبه في الكتابة:



الكتابة التاريخية عند ابن خلدون من خلال كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية (الجزأين

السادس والسابع)

جل الدراسات التي تحدثت عن منهج ابن خلدون ركزت على دراسة المقدمة، ولم يلتفت إلى دراسة كتابه في التاريخ بطريقة منهجية، سأحاول في هذا الفصل تتبع منهجه في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية ضمن كتابه العبر (الجزأين السادس والسابع).

1- محتوى الكتاب الثالث في تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية من كتاب العبر وتنظيم

المادة التاريخية:

يعرض علينا ابن خلدون في كتابه العبر تصوراً مختلفاً خاصاً يتفرد به، فهو لا يبدأ تاريخه ببدء الخليقة وقصة آدم، كما فعل أصحاب التاريخ العام من المشاركة¹، ولا يبدأ تاريخ المغرب ببدء الدعوة النبوية ونزول الوحي كما فعل المغاربة²، بل بدأ بتحديد أجيال العرب وأنساب الأمم³، ومنهجية حصر ذلك⁴، وهكذا قسم الأمم بما فيها العرب إلى طبقات وتتبعها طبقة طبقة⁵، فقسم طبقات العرب أولاً إلى ثلاث طبقات العرب العاربة⁶، والعرب المستعربة⁷، والعرب التابعة⁸، وتتبع أصول كل واحد منها وأخبارها إلى أن وصل إلى الدول التي أسستها، وفي أثناء ذلك عرض لطبقات الأمم الأخرى، وأجناسها متبعاً نفس المنهج كما فعل مع الفرس⁹ والروم¹⁰ وغيرهم.

واتبع في ذلك خطة واضحة يتبعها ولا يحيد عنها حتى يفرغ تاريخ العالم كما وعاه فيها¹¹، طبقها على العرب والعجم وطبقها على جميع الشعوب والأمم.

فكيف كان تطبيقها على أمم البربر؟

¹ - المدونات التاريخية لإسلامية الكبرى، التي وضع منهجها الطبري، تاريخها بدء بالحديث عن الزمن وبدء الخليقة وقصة آدم، نزولاً مع تاريخ الأنبياء والأمم التي عاصرتها ووصولاً إلى الدعوة النبوية وتاريخ الإسلام، حيث يتحلل التاريخ في حوليات تنتهي بعصر المؤلف. ينظر: نموذج الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991.

² - قدمت الأسطوغرافيا الكلاسيكية المغربية، التي توجهها الناصري، تاريخ المغرب على أنه تاريخ اتصال الإسلام به، فتاريخ المغرب يبدأ في المشرق مع فترة النبوة، ويتواصل مع الفتوحات الإسلامية شمال إفريقيا وهكذا. ينظر: عبد العزيز غوردو: مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية - دورية كان التاريخية -، ديسمبر، 2008، ص29.

³ - ابن خلدون: العبر، ج2، ص3 وما بعدها.

⁴ - نفسه، ص18.

⁵ - نفسه، ص19 وما بعدها.

⁶ - نفسه، ص21.

⁷ - نفسه، ص52.

⁸ - نفسه، ص273.

⁹ - نفسه، ص172.

¹⁰ - نفسه، ص218.

¹¹ - عبد العزيز غوردو: المرجع السابق، ص29.



خصص لذلك الكتاب الثالث والذي يظم أخبار البربر حتى عصره، ويشغل الجزأين السادس والسابع، ويستهل ابن خلدون حديثه في الجزء السادس عن العرب المستعجمة¹ في بقية الدول الإسلامية من العرب بالمغرب، فتتبع أصول بني هلال وبني سليم (من الأثيج ورياح وغيرها)، تتحدث عن فرقهم، وأخبارهم ومواطنهم، وآثار تنقلاتهم في العمران²، ثم ينتقل إلى الحديث عن أخبار البربر، فابن خلدون هنا يقيم الصلة بين طبقات العرب وطبقات البربر من خلال الاتصال الزمني وتواصل التاريخ، فحديثه عن القبائل الهلالية، وبني سليم وانتقالها إلى المغرب وملاحقته أخبارها، له علاقة بمنهج التاريخي الذي يربط المكان بالزمان وتعاقب حلقات الزمان وتواصلها إلى عهده، ثم يبحث بعد ذلك أخبار البربر وعن أنماطهم في المعاش وأنسابهم ومواطنهم وبطونهم ودولهم³، إذ يميز بين البربر البتر⁴ والبرانس⁵، ويذكر من هؤلاء قبائل صنهاجة ودولها⁶، كآل زير بن مناد وبني حماد⁷، ثم يعرض للملثمين⁸، ولدعوة المهدي بن تومرت وعصبة مصمودة⁹، ويعرض لأخبار الحفصيين¹⁰، ويختتم هذا الجزء بذكر بعض أخبار زناتة ودولة بني مرين.

أما الجزء السابع فقد خصصه لبسط أخبار زناتة¹¹ بما فيها أنسابهم وتوزيعهم المحلي وأجيالهم، وما كان لها من الظهور، وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة كدولة بني يفرن¹² في المغربين الأوسط والأقصى، ودولة مغراوة¹³ كآل زيري¹⁴ وبني خزرون¹⁵ وغيرهم من العصبية الزناتية التي يصنفها ضمن الطبقة الأولى من قبائل زناتة تميزا لها من الطبقة الثانية من قبائل زناتة التي عرض فيها أخبار بني عبد الواد في المغرب الأوسط واحتكاكاتهم الطويلة بين بني مرين والحفصيين¹⁶ من دون إغفال دور القبائل العربية في هذه الصراعات، وهذا قبل أن ينتقل إلى الحديث عن بني مرين وأنسابهم وقبائلهم ومواطنهم ودولتهم¹⁷، فابن خلدون يتتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية إلى النهاية مع مراعاة نقط الوصل والتداخل بين مختلف الدول.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص3 وما يليها.

² - نفسه، ج6، ص17 وما يليها.

³ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص116.

⁴ - نفسه، ج6، ص149-172.

⁵ - نفسه، ج6، ص182-201.

⁶ - نفسه، ج6، ص201.

⁷ - نفسه، ج6، ص205 وما بعدها.

⁸ - نفسه، ج6، ص241.

⁹ - نفسه، ج6، ص285 وما بعدها.

¹⁰ - نفسه، ج6، ص370.

¹¹ - نفسه، ج7، ص3 وما يليها.

¹² - نفسه، ج7، ص15-17.

¹³ - نفسه، ج7، ص33-38.

¹⁴ - نفسه، ج7، ص39-49.

¹⁵ - نفسه، ج7، ص50-53.

¹⁶ - نفسه، ج7، ص97 وما بعدها.

¹⁷ - نفسه، ج7، ص221 وما بعدها.



وفي حين يذكر بإيجاز تاريخ المرابطين والموحدين، يسهب كثيراً في دراسته لتاريخ الدول البربرية القريبة من عهده والتي عاصرها كدولة بني حفص وبني مرين وبني عبد الواد¹، بالإضافة إلى ترجمة حياته ألحقها بالجزء السابع، وذيل تاريخه بها وهي فصل طويل عنوانه (التعريف بابن خلدون)²، عني فيه ببعض الاختصار، وينتهي سنة 797هـ من ترجمة حاله، حيث تحدث فيه ابن خلدون عن نفسه من حيث أسرته وأصلها³، ومن حيث نشأته ومشيجته، وحال وأطوار حياته، وتنقلاته، ورحلاته من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وبلاد الأندلس ومصر، وتحدث عن جوانب تاريخية كثيرة متعلقة بهذه المناطق التي تنقل فيها، وعن مظاهرها السياسية والاجتماعية العلمية، وكان يدخل في تفصيلات دقيقة والتأريخ للشخصيات من شيوخه أو أصدقائه، وعرض الجوانب العلمية لمسيرته⁴.

ويعتبر ابن خلدون من أوائل الباحثين العرب الذين كتبوا تراجم عن أنفسهم رائعة مستفيضة، وتجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون لم يخف أن هدفه الأساسي من وضع مؤلفه التاريخي أي كتاب تاريخ البربر، في قوله: "وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي أما صريحاً أو مندرجاً في أخباره وتلويحاً لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأمه، وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار"⁵. وقد كان هذا مجلبة انتقاده ورميه بالقصور وعدم الاطلاع، بل عدم التحقق فيما كتب عن المشرق⁶. وقد اعتبر معظم الدارسين أن المقدمة والكتاب الثالث (الجزأين السادس والسابع) هما أنفُس أقسام الكتاب وأوفرها طرافة وأقواها عرضاً وتحقيقاً، إذ فيه من الروايات والحقائق عن أحوال تلك الأمم والقبائل البربرية ما لم يوفق إليه أي مؤرخ قبل ابن خلدون أو بعده⁷. ولا عجب في ذلك لأن طبيعة نشأة ابن خلدون وطبيعة حياته وتقلبه في خدمة الدول والتغلب في قصورها البربرية ودراسته لأحوالها دراسة المطلع خولته لأن يكون الرجل المناسب بل الأقدر على تناول موضوع كهذا بالتحليل والتنقيب⁸.

¹ - محمد أحمد ترحيني: المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 103.

² - العبر، ج 7، ص 503.

³ - نفسه، ج 7، ص 503-510.

⁴ - ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 511.

⁵ - ابن خلدون: المقدمة، ص 43.

⁶ - محمد أحمد ترحيني، المرجع السابق، ص 103.

⁷ - محمد بن أحمد شقرون: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي العصر المريني، دار الثقافة، المغرب، 1406هـ/1985م، ص 122؛ حسين عاصي: ابن خلدون مؤرخاً، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ص 133.

⁸ - محمد أحمد ترحيني: المرجع السابق، ص 103؛ حسين عاصي: المرجع السابق، ص 133؛ محمد فاروق النبهان: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ط 1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص 93.



2- الأدوات المنهجية:

تنوعت الأدوات المنهجية في كتابه تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) بين التوثيق وتعداد وإحصاء، وقواعد قيمة في قبول الروايات والأخبار.

أ- التوثيق :

المتبوع لكتاب العبر حول أخبار البربر والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) يلاحظ أن ابن خلدون اطلع على حشد كبير من المصادر المتنوعة، وهذا التنوع يأخذ أشكال متعددة تتضح فيما يلي:

— المصادر المكتوبة: كان ابن خلدون حريصاً كل الحرص على ذكر مصادره وتوثيق مادته والأمثلة على ذلك كثيرة:

كقوله: "هكذا نقل أبو محمد التيجاني¹ في رحلته"²، وقوله: "وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني³ النسابة في كتاب الأنساب"⁴، وقوله: "قال أبو عمر بن عبد البر⁵ في كتاب التمهيد في الأنساب"⁶، وقوله: "وقد أبطله إمام النسايب والعلماء أبو محمد بن حزم⁷ وقال في كتاب الجمهرة"⁸، وقوله: "ذكره عريب بن حميد في تاريخه"⁹، وقوله: "ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجواهر"¹⁰، وقوله: "وذكرها المسعودي"¹¹ في

¹ - هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد أبو القاسم التيجاني، ولد بتونس سنة 675هـ، انخرط في سلك الكتاب في ديوان الإنشاء. يراجع: التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد: رحلة التيجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981.

² - ابن خلدون: العبر، ج6، ص95-111.

³ - هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي إسماعيل الجرجاني، قاضي الري في أيام صاحب بن عباد، وكان أديباً، مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة سنة 392هـ، وله مصنفات منها: "كتاب تفسير القرآن المجيد"، "كتاب تهذيب التاريخ"، "كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه". يراجع: ياقوت الحموي: معجم الأدباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص1796-1798.

⁴ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص122.

⁵ - هو يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري، أبو عمر، فقيه حافظ مكثّر، عالم بالقراءات وبالاخلاف في الفقه ويعلم الحديث والرجال، ومن مجموعاته كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، وكتاب في الصحابة سماه "الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة"، كتاب "الكافي"، "العقل والعقلاء"، "بهجة المجالس وأنس المجالس"، توفي بشاطبة من بلاد الأندلس سنة 460هـ. يراجع: أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت 488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ط1، الدار المصرية، القاهرة، 1966م، ص367-369.

⁶ - العبر، ج6، ص126.

⁷ - هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، ولد بقرطبة سنة 884هـ، كان فقيهاً، حافظاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، أشهر مصنفاته "الفصل في الملل والأهواء والنحل" و "جمهرة الأنساب" و "ديوان شعر" ... توفي سنة 456هـ. يراجع: الزركلي: الأعلام، ج4، ص254.

⁸ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص127. العبر، ج7، ص503، 7، 4.

⁹ - نفسه، ج6، ص172.

¹⁰ - نفسه، ج6، ص138.

¹¹ - هو أبي الحسن علي بن الحسين علي بن المسعودي له مصنفات في التاريخ منها "مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف"، "النتيجه والأشراف"، وكتاب "ذخائر العلوم"، و"التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم"، وكتاب "رسائل"، توفي سنة 346هـ. ينظر: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب ابن النديم (ت 380هـ): الفهرسة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دبت، ص219-220؛ البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المضعفين، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دبت، ص679؛ الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص277.

¹² - ابن خلدون: العبر، ج6، ص132.



وقوله: "وذكر ابن عبد الحكم¹ في كتابه فتح مصر"²، وقوله: "وذكر الربجي مؤلف دولتهم"³، وقوله: "وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ عز غرناطة"⁴، وقوله: "وفيما نقل الطبري⁵ في تاريخه"⁶، وقوله: "وهذا آخر ما حلت به ابن الرقيق⁷ من أخبارهم"⁸.

وأحياناً يستخدم ابن خلدون كلمة صاحب للإشارة إلى مصادره دون ذكر اسم المؤلف، ومن الأمثلة على ذلك نذكر قوله: "ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجوهر"⁹، "وقال صاحب المقياس"¹⁰، "ذكرهم صاحب الأغاني"¹¹، "صاحب المسالك والممالك"¹².

وبعض الأحيان لا يذكر أسماء مؤلفاتهم مكتفياً بذكر أسماء المؤلفين ومن الأمثلة على ذلك قوله: "قال ابن سعيد"¹³، "قال ابن قتيبة"¹⁴، "قال ابن الكلبي"¹⁵.

وأحياناً لا يبين بشكل واضح مصادره لبعض الأخبار بل يكتفي بالإشارة لها بألفاظ تحمل صفة التعميم وعدم التحديد ومن ذلك قوله: "وزعم بعض الإخباريين من البربر ووقفت على كتابه"¹⁶، وقوله: "وفي بعض تواريخ المغرب"¹⁷، وقوله: "وذكر بعض مؤرخي المغرب"¹⁸، وقوله: "وذكر بعض المؤرخين"¹⁹، وقوله: "ذكر بعض الإخباريين"²⁰، وقوله: "ونقل الإخباريون"²¹.

¹ - هو عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم، مؤرخ من أهل العلم بالحديث، مصري المولد والوفاء، من كتبه: "فتوح مصر والمغرب والأندلس" وهو ابن الفقيه "صاحب سيرة عمر بن عبد العزيز"، توفي سنة 257هـ/871م. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص313.

² - ابن خلدون: العبر، ج7، ص9.

³ - نفسه، ج7، ص289.

⁴ - نفسه، ج7، ص522.

⁵ - هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الأملّي، ولد بأمل سنة 224، كان محدثاً، فقيهاً، مقرئاً، متقناً في جميع العلوم، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. ينظر: ابن النديم: الفهرسة، ص326-327؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص2441.

⁶ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص201.

⁷ - هو إبراهيم بن القاسم الكاتب يعرف بالرفيق القيرواني، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب "النساء"، كتاب "الراح والارتياح"، وكتاب "نظم السلوك في مسامرة الملوك"، "الاختصار البارع للتاريخ الجامع"، توفي سنة 420هـ/1092م. ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص97.

⁸ - ابن خلدون: العبر، ج7، ص58.

⁹ - نفسه، ج6، ص138.

¹⁰ - نفسه، ج6، ص286.

¹¹ - نفسه، ج6، ص48-49.

¹² - نفسه، ج6، ص266.

¹³ - نفسه، ج6، ص16، 264.

¹⁴ - نفسه، ج7، ص127.

¹⁵ - نفسه، ج6، ص95.

¹⁶ - نفسه، ج6، ص164.

¹⁷ - نفسه، ج6، ص180.

¹⁸ - نفسه، ج6، ص301.

¹⁹ - نفسه، ج7، ص25.

²⁰ - نفسه، ج7، ص80.

²¹ - نفسه، ج7، ص87.



وعند حديثه عن أنساب البربر يستفيد من نسبة البربر المشهورين، مثل: سالم بن سليم المظماطي وهاني بن مسرور الكومي، وكهلان بن أبي لوا¹، وأيوب بن أبي يزيد².

ولكن المصدر الأكثر ثقة عنده في الأنساب الذي يشيد به باستمرار ويعول عليه كثيرا هو كتاب الجمهرة لأبي حزم وذلك في قوله: "إلا أن رواية أبي حزم أصح لأنه أوثق"³، وقوله أيضا: "ابن حزم موثق ولا يعدل به غيره"⁴.

وتتجلى دقة وأمانة ابن خلدون في الأخذ من المصادر التي استفاد منها بإشارته على الأغلب إلى بدئ ونهاية النقل والأمثلة على ذلك كثيرة، وهو يستخدم عبارات تدل على بدئ النقل منها: قال، حكى، ذكر، رأيت، وهو في أغلب الأحيان يبدأ نقله للنصوص بالإشارة إلى مؤلفها، أو عنوان الكتاب، أو المؤلف وعنوان الكتاب معاً، ومن ذلك قوله: "قال سعيد"⁵، قال: "صاحب نظم الجواهر"⁶، "وذكر أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة"⁷.

ويستخدم للإشارة إلى نهاية النقل عدة أساليب وألفاظ منها: قوله: "إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنه أوثق"⁸، وقوله: "هذا آخر الكلام في شعوب هذا الجيل مجملًا"⁹، وقوله: "هذا لأن ابن حزم موثق ولا يعدل به غيره"¹⁰، وقوله: "هذا آخر ما حلت به ابن الرقيق من أخبارهم"¹¹، وقوله: "وقد انتهى بنا الكلام إلى أنسابهم وأوليتهم"¹²، وقوله: "وانتهى كلامه"¹³، وفي أغلب الأحيان يشير إلى نهاية النقل بذكر الحرفين "أه"¹⁴، وقوله: "أه كلام ابن سعيد"¹⁵، "أه، كلام ابن حزم"¹⁶.

لقد دأب ابن خلدون ومن منطلق الأمانة العلمية إلى الاعتراف والإشارة باستمرار إلى نقص المعلومات في موضع ما، أو عدم تمكنه من الحصول على مصادر ومن الأمثلة على ذلك قوله: "هذه شعوب الطبقة

¹ - ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 117-124. ج 7، ص 8.

² - نفسه، ج 6، ص 124.

³ - نفسه، ج 6، ص 117.

⁴ - نفسه، ج 7، ص 4.

⁵ - نفسه، ج 6، ص 16، 26، 265.

⁶ - نفسه، ج 6، ص 138.

⁷ - نفسه، ج 7، ص 7.

⁸ - نفسه، ج 6، ص 117.

⁹ - نفسه، ج 6، ص 120.

¹⁰ - نفسه، ج 7، ص 4.

¹¹ - نفسه، ج 7، ص 58.

¹² - نفسه، ج 6، ص 128.

¹³ - نفسه، ج 7، ص 132.

¹⁴ - نفسه، ج 6، ص 11، 22، 227، 236، 240.

¹⁵ - نفسه، ج 6، ص 266.

¹⁶ - نفسه، ج 7، ص 18.



الثالثة من العرب لهذا العهد في ديار المشرق بما أدى إليه الإمكان¹، وقوله: "وأما زواغة فلم يتأد إلينا من أخبارهم وتصاريق أحوالهم ما تعمل فيه الأقلام"²، وفي قوله: "وربما ذكر فيهم بنو عدي، ولم نقف على أخبارهم وليس لهذا العهد حي معروف"³، وفي حديثه عن أمراء أغمات من مغراوة قوله: "لم أقف على أسماء هؤلاء إلا أنهم أمراء بأغمات"⁴، وقوله: "ولم نقف من أخبار لقوط بن يوسف وقومه على غير الذي كتبناه"⁵. اعتمد في معلوماته أيضاً على الدواوين السلطانية وإرسال الرسل والسفارات وبعض مراسيم الملك على بعض العاملين في هذا المجال، أو من كلف بمهمات من هذا القليل، مثل قوله: "وذكر لي بعض قهارمة الدار"⁶، وقوله: "أخبرني الفقيه أبو إسحاق الحساوي كاتب الموحدين بتونس"⁷.

ويشير أحياناً إلى مصادره بعبارة تدل على المشاهدة والاطلاع المباشر للمصدر الذي ينقل عنه زيادة في التوثيق وإضفاء الأهمية على مصادره، ومن ذلك قوله: "ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسته"⁸، وذلك عند حديثه عن هدية السلطان أبي الحسن إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام، وقوله: "فكتب له كتاباً قرعه فيه وقفني عليه الحاجب ببجاية أيام كوني معه"⁹، وقوله: "وكان بعث إلى مع كتابه نسخة كتابه إلى السلطان ابن الأحمر، صاحب الأندلس عندما دخل جبل الفتح، وصار إلى إيالة بني مرين، فخاطبه من هناك بهذا الكتاب، فرأيت أن أثبته هنا ... وأن مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب، مع ما فيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول في تفاصيل أحوالها"¹⁰.

— **المشاهدة والمعاصرة:** تمثل مشاهدات المؤرخ ومعايشته لأحداث عصره واحد من أهم مصادره فابن خلدون ينفرد بمعلومات تتعلق بأنساب البربر وأصولهم وتفرعاتهم، وتعد غاية في الدقة والموضوعية، استند في الكثير مكنها إلى مشاهدته ومقابلاته مع الكثير من أصحاب الخبرة في هذه الأمور، وعندما يختتم حديثه عن زناتة يقول: "هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب"¹¹، وهو عنصر فاعل داخل الحدث ومشارك فيه، ومطلع على خبايا السياسة ومؤامراتها، والصراعات الدائرة بين السياسة والدول¹²،

¹ - ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 17.

² - نفسه، ج 6، ص 170.

³ - نفسه، ج 6، ص 23.

⁴ - نفسه، ج 7، ص 62.

⁵ - نفسه، ج 7، ص 63.

⁶ - نفسه، ج 7، ص 351.

⁷ - نفسه، ج 7، ص 708.

⁸ - نفسه، ج 7، ص 351.

⁹ - نفسه، ج 7، ص 388.

¹⁰ - نفسه، ج 7، ص 586.

¹¹ - نفسه، ج 7، ص 9.

¹² - خلدون خليل سليم، الحباشنة: ابن خلدون والتاريخ، أطروحة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية العليا، جامعة الأردن، 2010، ص 70.



ومن ذلك حديثه عن دولة بني حفص ملوك إفريقية من الموحيدين واستدعاء السلطان أبو عبد الله له من الأندلس للعمل عنده إذ يقول: "وبعث عني من الأندلس وكنت مقيماً بها نزيلاً عند السلطان أبي سالم الجاذب بضبعي إلى تقويمه والترقي في خطط كتابته من ترسيل وتوقيع ونظر في المظالم وغيرها، فلما استدعاني هذا الأمير أبو عبد الله بادرت إلى امتثاله فأجزت البحر شعر جهادى من سنة ست وخمسين وسبعمائة، وقلدني حجابته، ودفع إلى أمور مملكته، وقمت في ذلك المقام المحمود إلى أن يأذن الله بانقراض أمره، وانقطاع دولته"¹.

كما كان حاضر في قلب الفتن، كسفير السلطان عبد العزيز إلى الدواودة يحثهم على عدم التحالف مع خصم السلطان أبي حمو، وبني عامر، إذ يقول: "وسرح إليهم السلطان يومئذ عبد العزيز يحملهم على طاعته والعدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم"²، وقوله: "وانتهيت أنا إليهم فحفظت عليهم الشأن في جواره لما كانت مرضاة السلطان، وحذرهم شأن أبي حمو وبني عامر..."³.

وقد نجح في تحقيق مهمته إذ يقول: "وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة النواودة، فأوسعهم حباً وكرامة وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة، بالشكر ألسنتهم"⁴.

ويقدم ابن خلدون كذلك معلومات هامة عن الحالة الثقافية في تونس والمغرب ويسمي عدداً كبيراً من علماء ذلك العصر، ويشير إلى الطاعون الجارف الذي اجتاح المغرب آنذاك وأدى إلى وفاة والديه وعدد كبير من العلماء الذين تعلم عليهم وذلك في عام 749هـ، ويصف ابن خلدون ذلك بقوله: "ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكباً على تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله"⁵، إلى غير ذلك من الامثلة الكثيرة التي تدل على مشاهدة ومعاصرة ابن خلدون للأحداث.

— الروايات الشفوية: اعتمد ابن خلدون في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) على الروايات الشفوية واستعمل في ذلك عبارات منها "أخبرني" أو "قال" أو "سمعت" أو "ذكر لي"، ففي حديثه عن بلاد السودان، ومملكة غانا، يعتمد على الشيخ عثمان، إذ يقول: "وأخبرني الشيخ عثمان فقيه أهل غانية وكبيرهم علماً وديناً وشهرة، قدم مصر سنة تسع وتسعين وستمائة حاجاً بأهله وولده ولقيته بها"⁶.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص548.

² - نفسه، ج7، ص177.

³ - نفسه، ج7، ص177.

⁴ - نفسه، ج7، ص177.

⁵ - نفسه، ج7، ص532.

⁶ - نفسه، ج6، ص266.



وقوله: "قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر"¹، وقوله: "وأخبرني القاضي الثقة أبو عبد الله محمد ابن وفسول من أهل سجلماسة، وكان أوطن في بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بما لقيه منذ سنة ست وسبعين وسبعمئة فأخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبه"².

وفي أثناء تناوله موضوع القبائل والأنساب وخاصة البربر، فقد استعان بعدد كبير من المصادر ذات العلاقة، كقوله: "ذكر لي سلام شيخ أولاد التركية"³، وقوله: "أخبرني بعض أمراء حادثة بن سنس"⁴، وقوله: "أخبرني من أثق به من الهلاليين"⁵، وقوله: "سمعت من مشايخهم"⁶، وقوله: "أخبرني يوسف بن علي ثم غانم عن شيوخ قومه من المعقل"⁷، وقوله: "وذكر لي سلام بن التركية شيخ أولاد مقدم"⁸، وقوله: "أخبرني طلحة بن المظفر من شيوخ العمارية إحدى بطون المعقل"⁹، وقوله: "وكان من خبر أوليته فيما حدثني به محمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي آخر رؤساء العزفيين بسبته"¹⁰، وقوله: "وهكذا تلقيته من بعض الهلاليين"¹¹، وقوله: "علي بعض نسابتهم"¹²، وقوله: "أخبرني بذلك الثقة عن إبراهيم بن عبد الله التمرغني قال وهو نسابه زناتة لعهد"¹³، وقوله: "سمعت عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزنانة يقول"¹⁴.

كما اعتمد في بعض الأخبار على من يثق بمعلوماتهم ممن شهد الحدث أو نقل الخبر، مثل قوله: "أخبرني شيخنا العلامة محمد ابن إبراهيم الآبلي"¹⁵، وقوله: "سمعت من بعض مشيختنا"¹⁶....

ب- التعداد والإحصاء :

أمدنا ابن خلدون في كتاب العبر حول أخبار البربر والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) بمعطيات رقمية تتعلق بأعداد الجيوش وضحايا الحروب، والغنائم، وبرغم كونه يسوق معطيات رقمية، يفهم من كلامه أنه يتحفظ لإزاءها ولا يعتبرها حقيقية أو نهائية، ومن تلك العبارات: "أمم لا تحصى"، "فيما يذكر"، "ما لا يحصى"، "يقال إن"، "أو في نحو"، والأمثلة عن ذلك كثيرة نذكر منها:

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص286.

² - نفسه، ج6، ص269.

³ - نفسه، ج6، ص7.

⁴ - نفسه، ج6، ص8.

⁵ - نفسه، ج6، ص26.

⁶ - نفسه، ج6، ص75.

⁷ - نفسه، ج6، ص61.

⁸ - نفسه، ج6، ص144.

⁹ - نفسه، ج6، ص441.

¹⁰ - نفسه، ج6، ص501.

¹¹ - نفسه، ج6، ص586.

¹² - نفسه، ج6، ص604.

¹³ - نفسه، ج7، ص63.

¹⁴ - نفسه، ج7، ص132.

¹⁵ - نفسه، ج7، ص123، 127، 300.

¹⁶ - نفسه، ج6، ص84.



- في حديثه عن خروج المعز بن باديس للقاء العرب في جموع البربر وبقية عرب الفتح: "وحشد زناتة والبربر وعمد نحوهم في أمم لا تحصى يناهز عددهم فيما يذكر ثلاثون ألفاً، وكانت رياح وزغبة والعدي جيران من جهة فاس، ولما تزاحف الفريقان انخزل بقية عرب الفتح وتحيزوا إلى الهلاليين للعصبيّة القديمة... وكانت الهزيمة على المعز... وانتهبت العرب جميع مخلفه من المال والمتاع والذخيرة والفساطيط والرايات، وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى، يقال إن القتلى من صنهاجة بلغوا ثلاثة آلاف وثلاثة مئة"، ثم يورد بعد ذلك قول الشاعر وفيه تعداد رجال كل من الطرفين: "ثلاثون ألفاً منهم قد هزمتهم *** ثلاثة آلاف وذاك ضلال"¹.

- ومن ذلك ذكره ثورة محمد ابن عبد الله بن هود، الملقب بالهادي على الموحدين، في رباط ماسة قوله: "فسرح إليه عبد المؤمن عسكرياً من الموحدين... وبرز إليهم الثائر في نحو ستين ألفاً من الرجال وسبعمئة من الفرسان، فهزمتهم الموحدون... وذلك في ذي الحجة سنة واحد وأربعين وخمسائة"². ويستعمل ابن خلدون عبارات لا تحتل الشك، وذلك عندما يكون متشككاً من الأرقام التي يقدمها، والامثلة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

- عندما أورد نبأ معركة الأرك في عهد يعقوب المنصور الموحي في عام 591هـ، ذكر عدد قتلى النصاري بقوله: "فكانت الهزيمة المشهورة على النصاري واستلحم منهم ثلاثون ألفاً بالسيف"³.

- وعندما تحدث عن نفير أهل المغرب للجهاد في الأندلس في إجازة السلطان أبي يوسف الرابعة سنة 684هـ، قدم معطيات رقمية، وبدى واثقاً من صحتها فقال: "... ووافته حصّة العزفي من سبّة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة من الرجال وأوعز إلى ولي عهده الأمير أبي يعقوب باستنفار من بقي بالعدوة من المسلمين إلى الجهاد، وعقد لحافده الآخر منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من الغزاة، وأعطاه الراية وسرحه لغزو إشبيلية لآخر صفر من سنته"⁴.

أما فيما يخص الغنائم فنسوق منها:

- حديثه عن معركة بين أبي محمد وبني غانية سنة ست وستمئة هجري بجبل نفوسة يقول: "حكى ابن نخيل أن مغائم الموحدين يومئذ من عساكر المثلثين كانت ثمانين عشر ألفاً من الظهر"⁵.

¹ - ابن خلدون : العبر، ج6، ص21.

² - نفسه، ج6، ص310.

³ - نفسه، ج6، ص329-330.

⁴ - نفسه، ج7، ص273-274.

⁵ - نفسه، ج6، ص261.



- وعندما أورد خبر غزوة أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مع النصارى في الأندلس (الجزيرة)، ذكر الغنائم التي حصل عليها المسلمين في قوله: "ويقال: كان مبلغ الغنائم في هذه الغزوة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفاً، ومن الأسارى سبعة آلاف وثمان مائة وثلاثين، ومن الكراع أربعة عشر ألفاً وستمائة، وأما الغنم فانتسعت عن الحصر كثرة"¹.

أما القرائن حول الهدايا فنذكر منها:

- حديثاً عن هدية صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحدي بالمغرب، حيث يقول: "وبعثه في هذه إلى المنصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين، ومائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلاً من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوساً عربية بأوتارها، وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة ثقيلة"².

ثم يذكر أن المنصور الموحدي قد بعث إلى صلاح الدين الأيوبي مائة وثمانين أسطولاً وذلك في قوله: "ويقال إنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولاً"³.

ج - القواعد المنهجية في كتابة العبر:

قدم ابن خلدون في المقدمة قواعد قيمة لمنهجية تاريخية جديدة، شهد لها على الغرب، ونالت إعجاب واضعي نظريات البحث العلمي الحديث، وهي تعد الأكثر دقة، والأشد صرامة في قبول الروايات والأخبار حتى عد ابن خلدون بحق مؤسس منهجية جديدة في علم التاريخ، باعتراف المفكرين المعاصرين، ولهذا يمكن أن نتساءل: هل طبق ابن خلدون هذه القواعد المنهجية التي اختطها في المقدمة في كتابة العبر؟ وتجدر الإشارة إلى أن منهج ابن خلدون في النقد التاريخي الذي على يقوم على جملة قواعد حاضر بقوة في كتاب العبر، ولأننا قمنا بدراسة منهجه في الجزأين السادس والسابع، أدركنا مدى التزام ابن خلدون بقواعده المنهجية التي وضعها في المقدمة.

فلقد التزم ابن خلدون بمنهجه من حيث إحكام العقل والابتعاد عن التهويل والمبالغة والحذر من التشيع للآراء والمذاهب، وتحري الصحيح من الأخبار، والأمثلة عن ذلك كثيرة نذكر منها: قوله عن الهلاليين والخراب الكبير الذي ألحقه في العمران: "وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني وعاثوا

¹ - ابن خلدون: العبر، ج7، ص256.

² - نفسه، ج6، ص331.

³ - نفسه، ج6، ص331.



في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها...، واضطرب أمر إفريقية، وخرب عمراتها، وفسدت سابلتها"¹.

أما عن موقفه من أشعار الهلاليين كمصدر للمعلومة، والأخبار، فقد رأى أن في "هذه الأشعار كثير أدخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بأيامهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم، وضبط لأسماء رجالاتهم وكثير من أحوالهم، لكن لا نثق بروايتها"².

ويرفض ابن خلدون رواية تشير إلى تأسيس مدينة تلمسان وانها أزلية البناء وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام، هو بناحية أكادير منها، واعتبرها من "مزاعم العوام" وأنه "أمر بعيد عن التحصيل لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب، وبنو إسرائيل لم يبلغ ملكهم لإفريقية" واعتبر أن هذه الرواية تندرج تحت "مقالات التشيع المجهول عليه أهل العلم في تفضيل ما ينسب إليهم أو ينسبون إليه من بلد أو أرض أو علم أو صناعة"³.

ومنهج ابن خلدون بالنقد والتمحيص وإعمال العقل وإخضاع الأخبار لقواعد العمران، والأمثلة عن ذلك كثيرة نذكر منها: الأسلوب الذي عالج به الروايات التي تحدث بها عن أصل البربر فنجد أن سرد هذه الروايات تتبعها بالتنفيذ والنقد والمعالجة وقد علق على هذه الروايات بقوله: "وأعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب"، "فأما القول بأنهم من ولد إبراهيم فبعيد، لأن داود الذي قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بنبيه وبين إسحاق بن إبراهيم أخي نعثان الذي زعموا أنه أبو البربر إلا نحو عشرة أبناء ذكرناهم أول الكتاب ويبعد أن تشعب النسل فيهم مثل هذا الشعب"⁴، ثم ينتقل إلى الرواية الثانية، والتي تزعم "أنهم من ولد جالوت أو العماليق، وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة"⁵، أما عن مسوغات ابن خلدون لهذا النقد والأسباب التي ساقها لرفضها فهي: "أن مثل هذه الأمة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض، لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور، والبربر معروفون في بلادهم..."⁶، كما أن: "أفريقش الذي يزعمون أنه نقلهم قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم وعجمتهم، وقال: ما أكثر بربركم، فكيف يكون هو الذي نقلهم"، ثم يعلق ابن خلدون عن هذه الرواية التي يصفها بالخرافية بعبارة قوية بقوله: "فما الذي يوجبنا إلى التعليق بهذه الترهات"، أما الرواية

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص22.

² - نفسه، ج6، ص25.

³ - نفسه، ج7، ص102.

⁴ - نفسه، ج6، ص126.

⁵ - نفسه، ج6، ص127.

⁶ - نفسه، ج6، ص128.



التي تنسبهم إلى حمير أو مضر فيعتبرها ابن خلدون "منكر من القول"، "وهذا كله باطل لا شك فيه"، "وأنه من أكاذيب مؤرخي اليمن"، "وغاية البعد وأظنها غفلة من ابن قتيبة ووهما"، أما روايات نسابة البربر فتزعم أن بعض شعوبهم من العرب ويعتبر ابن خلدون أن هذا "كلها مزاعم" ويستثني من ذلك صنهاجة وكتامة، أما الرأي الذي يدعمه ابن خلدون ويعتبره الحق "والحق الذي لا ينبغي التعديل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليفة"، ويخاطب القارئ بقوله: "فلا يقعن في وهمك غير هذا"¹.

وكذلك في حديثه عن زناتة من قبائل البربر يستعرض ابن خلدون الروايات التاريخية التي تتحدث عن نسب زناتة وأصولها ويناقشها واحدة تلو الأخرى، وقد علق على بعضها بقوله: "وهذا أصح، وهذا موثوق، وهذا ليس شيء منه بصحيح، وقوله: ورأية مختلطة، وأمر بعيد عن القياس، وهذا وهم، وهذا قول مرجوح وبعيد من الصواب، وهذا بعيد في العادة"². وهذه العبارات توضح مدى النقد المنهجي الذي يمارسه ابن خلدون مع تعدد الروايات واضطرابها وبعد العديد منها عن معايير العقل وقوانين العمران لكنه يستعرض معظم الآراء ويقابلها ببعضها البعض، ويختتم ابن خلدون كلامه عن نسب زناتة بقوله: "وهذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب"³.

ويرى ابن خلدون في مواضع كثيرة من تاريخه العبر (الجزأين السادس والسابع) يفسر الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية على العصبية وطبائع وعوائد العمران، فعلى سبيل المثال حينما يتحدث عن الأتبيج في الفصل المعنون بـ "الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسليم المغرب من الطبقة الرابعة وأخبارهم هناك" قال: "كان هؤلاء الأتبيج من الهلاليين أوفر عدداً وأكثر بطوناً وكان التقدم لهم في جملتهم"⁴.

وكذا حين تحدث عن بنو مالك بن زغبة وبطونهم سويد والعطاف والديالم قرر أن لسويد عزة على العطاف والديالم لكثرتها قائلاً: "وهؤلاء العطاف والديالم أقل عدد من سويد ... ولسويد عليهم اعتزاز بالكثرة"⁵.

وكذلك أرجع السبب في مكانة هكسورة - إحدى قبائل المصامدة - واعتزازها بين الموحدين إلى كثرتهم إذ يقول: "هكسورة وهم أكثر قبائل المصامدة ... فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبهم"⁶.

¹ - ابن خلدون: العبر ، ج6، ص128.

² - نفسه، ج7، ص4-7.

³ - نفسه ، ج7، ص9.

⁴ - نفسه، ج6، ص30.

⁵ - نفسه، ج6، ص65.

⁶ - نفسه، ج6، ص354.



وكذلك نجده كلما تحدث عن (قوة) قبيلة جعل (الكثرة) لازمة من لوازمها، فيتحدث عن مرغحية احدى بطون يفرن قائلاً: "كان لهذا البطن من بني يفرن بضواحي إفريقية وكانت لهم كثرة وقوة"¹، وكذلك حينما يتحدث عن مغراوة احدى بطون زناتة يتلازم الغلب والقوة مع الكثرة والسعة إذ يقول: "هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم"².

فابن خلدون يفسر القوة والكثرة في إطار احدى قواعده التي أشار إليها في مقدمته وهو أن "عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدتها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة"³، ويوضح ابن خلدون السبب في ذلك قائلاً: "والسبب في ذلك أن الملك إنما يكون بالعصبية وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطاناً وكان ملكها أوسع لذلك"⁴.

ويقدم كذلك ابن خلدون تحليلاً وتفسيراً حول التحول الحضاري الذي طرأ على صنهاجة من البربر بعد انقراض ملكهم وتغلب الأعراب من هلال وبني سليم على سائر النواحي الأخرى بإفريقية "وكتروا ساكنها وتغلبوا عليهم أخذ هذا الفل بمذهب العرب وشعارهم وشارتهم في اللبوس والزي والظعون وسائر العوائد، وهجروا لغتهم العجمية إلى لغتهم، ثم نسوها كأن لم تكن لهم، شأن المغلوب في الاقتداء بغالبه"⁵. وهو هنا يشير إلى أحد قوانين العمران في مقدمته وهو أن "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده"⁶.

كما أن ابن خلدون يحلل الأحداث التاريخية تحليلاً ينفذ إلى باطن التاريخ وعلل الأحداث كما طالب في المقدمة ولا يقف عند ظاهر الأخبار والأمثلة عن ذلك كثيرة نذكر منها: في بداية حديثه عن العرب المستعجمة فإنه يفسر قيام ونهاية هذه الطبقة فيرجع سبب قوتها وتفوقها وانتصارها على الأمم الأخرى إلى: "خشونة الدين وبداءة الأخلاق، ومضاء المضرب"⁷، ثم يقدم تفسيراً لنهايتها فيقول: "وانقلبت أحوالهم من خشونة البداءة وسداجة الخلافة إلى عز الملك وترف الحضارة، ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والأقطار البائنة عن ممالك الإسلام ... وتناقل الملك من عنصر إلى عنصر ... واستفحل ملكهم ... وبلغوا

¹ - ابن خلدون: العبر، ج7، ص32.

² - نفسه، ج7، ص33.

³ - المقدمة، ص204.

⁴ - نفسه، ص204.

⁵ - نفسه، ج6، ص383.

⁶ - ابن خلدون: المقدمة، ص184.

⁷ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص375.



من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم ... وطال نومهم في ظل العزف والسلم، حتى ألفوا الحضارة ونسو عهد البادية وانقلبت من أيديهم الملكة التي نالوا بها الملك، وغلبوا الأمم¹، وكذلك الشأن بالنسبة إلى طبقات أقوام من البربر، حيث أن الطبقة الثانية من زناتة تلك التي لم تمارس الملك ولا أخلقها ترفه" ظلت قائمة وحصل لها الملك بعد انقراض دولة الموحيدين²، ثم لما أتيح الملك لأقوام من البربر أصابهم الترف وزالت دولهم "قلت جموعهم وفنيت عصابتهم وعشائرتهم وأصبحوا خولاً للدول وعبيد للحجابة"³ وهو ما سبق أن قرره بكل وضوح في مقدمته، وتكون هذه المراحل الدورة الحضارية الثابتة التي تتحكم في كل تجارب الملك، وعند سائر الأمم، وهي النشأة أو الاستيلاء على السلطة، ثم مرحلة عز الملك وما يكون فيها من مظاهر القوة والمجد والترف والسرف، ثم مرحلة النهاية وهي ضعف الشوكة وتغلب أطراف أخرى، على السلطة⁴.

ونخلص من ما تقدم أن ابن خلدون قد حرص عند تناوله للأخبار التاريخية على توخي الاعتدال والبعد عن التشيعات والميول والأهواء والمبالغة، وكذلك قام بمعالجة الأخبار وتفسيرها في إطار قواعد وطبائع العمران وكل هذا يقف شاهداً على أن العبر (الجزأين السادس والسابع) تكاد تكون ترجمة عملية للمنهجية التاريخية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص3.

² - نفسه، ج7، ص78.

³ - نفسه، ج6، ص136.

⁴ - ناجية الوريثي بوعجيلة : حفريات في الخطاب الخلدوني -الأصول السلفية وهم الحداثة العربية- ، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2008، ص251.



3- أسلوبه في الكتابة:

سلك ابن خلدون في كتابته أسلوباً جديداً يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق، وقوة التدليل، وترابط الفكرة، وحسن الأداء والتناسق، وتخيير المفردات والتراكيب العربية السليمة، والتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع التي كان النثر العربي مكبلاً بها في عصره¹.

وقد صرح بذلك في كلامه عن كتابته لأبي سالم أحد ملوك الأندلس، إذ يقول: "وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع، لضعف انتحالها، وخفاء المعاني منها على أكثر الناس، بخلاف غير المرسل، فانفردت به يومئذ وكان مستغرباً عند من هم من أهل هذه الصناعة"².

— الاستدلال بالقرآن والمنظوم من الشعر: عمد ابن خلدون إلى الاستشهاد بالعديد من الآيات القرآنية، وكثيراً ما يختتم الخبر بما يناسبه من القرآن الكريم، إما بنص صريح، أو بتوظيف معنى الآية بما يفيد في توضيح الخبر وتفسيره، وأخذ العبرة منه، ومن الأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها قوله: "فاندثروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم، قال تعالى: (سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)"³، وقوله: "ومن مكناسة غير هؤلاء أوزاع في القبائل لهذا العهد مفرقون في نواحي إفريقية والمغرب الأوسط، قال تعالى: (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)"⁴، وقوله: "والفل منهم بذلك الوطن إلى الآن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن إليهم من قبائل غمارة والله وارث الأرض ومن عليها"⁵، وقوله: "وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله وكان له ذلك سلماً إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأيام، والملك لله يؤتيه من يشاء"⁶.

كما استشهد أيضاً بالشعر والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها عند حديثه عن الصراع بين المعز بن باديس والعرب الهلاليين يستشهد بقصيدة (البحر الطويل) علي بن رزق الرياحي ويقال أنها لابن شداد حيث يقول:

لقد زار وهناً من أميم خيال وأيدي المطايا بالزميل عجال
وأن ابن باديس لأفضل مالك لعمرى، ولكن ما لديه رجال

¹ - علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص131.

² - ابن خلدون: العبر، ج7، ص541.

³ - نفسه، ج6، ص4؛ القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية23.

⁴ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص180؛ القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية16.

⁵ - ابن خلدون: العبر، ج7، ص13.

⁶ - نفسه، ج7، ص100.



ثلاثون ألفاً منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذلك ضلال¹

كذلك في حديثه عن أصل البربر وذكر رواية نسابة البربر أنهم أبناء بر بن قيس بن عيلان الذي قدم إلى بلاد المعز فاراً من أخيه عمر بن قيس، يستشهد بقصيدة (البحر الوافر) تماضر وهي أخته تقول:

لتبكي كل باكية أحاها كما أبكي على بر بن قيس²

وفي حديثه عن تظاهر ابن الأحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من إجازة ابن الأحمر ذكر قصيدة (البحر الرجز) لابن الأحمر بعثها إلى السلطان أبي يوسف المريني قبيل مغادرته الجزيرة، يعاتبه على تصرفه في حقه ويستعطفه فيها ويستنصره وهي من نظم كتابه أبي عمر بن المرابط هذا مطلعها:

هل من معين في الهوى أو منجدي من متهم في الأرض أو من منجد

هذا الهوى داع فهل من مسعف بإجابة وإنابسة أو مسعد³

ومنها في الاستغاثة: (البحر الكامل)

أفلا تذوب قلوبكم إخواننا مما دهانا من ردى أو من ردي

أفلا تراعون الأذمة بيننا من حرمة ومحبة وتودد

أكذا يعيث الروم في إخوانكم وسيوفكم للثأر لم تتقلد⁴

وإلى جانب ذلك عمد ابن خلدون إلى ذكر الروايات المختلفة حول الخبر الواحد ثم يقوم بإيراد أو ترجيح الرواية التي يراها صواباً، ففي حديثه عن أصل البربر أورد روايات للمسعودي، والطبري، وأبو عمر بن عبد البر، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وابن قتيبة، ومالك بن المرحل، وأبو محمد بن حزم، ونسابة البربر⁵، ثم يورد الرواية التي يراها صواباً وذلك في قوله: "والحق الذي لا ينبغي التعديل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح"⁶.

وحول نسب زناتة فإنه يورد كذلك رواية عن أبي زيد، أبي محمد بن قتيبة، ونسابة زناتة، وعن أبي محمد

بن حزم⁷، ولكنه يرجح رواية ابن حزم وذلك في قوله: "والحق فيهم ما ذكره أبو محمد بن حزم"⁸.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج6، ص21.

² - نفسه، ج6، ص124.

³ - نفسه، ج7، ص263.

⁴ - نفسه، ج7، ص263-264.

⁵ - نفسه، ج6، ص120-127.

⁶ - نفسه، ج6، ص127.

⁷ - نفسه، ج7، ص4-5.

⁸ - نفسه، ج7، ص5.



وكان يضعف بعض الروايات ولكن بطريقة غير مباشرة فيوردها بصيغة التضعيف فيقول: "يقال..."¹ أو يقول: "قد قيل"² ، أو يقول: "ويقولون بزعمهم"³ ، أو يقول: "وقد زعم"⁴ ، أو يقول: "فيما يذكر"⁵ ، ويعبر عن عدم تأكده من الخبر فيورده وفي النهاية يقول: "والله أعلم"⁶ ، أو يقول: "والله أعلم بحقيقة ذلك"⁷.

والمتتبع لما رود في كتاب العبر حول أخبار البربر والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) يتبين له أن ابن خلدون كان حريصاً على تجنب التكرار مستوفياً وملماً فيما يخص سرده للحوادث التاريخية، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: قوله: "وقد أشرنا إليها"⁸ ، وقوله: "كما ذكرنا"⁹ ، أو قوله: "كما نذكره في موضعه"¹⁰ ، وقوله: "وقد تقدم ذكره"¹¹ ، وقوله: "كما قدما أول الكتاب"¹² ، وقوله: "وقد مر ذكرهم"¹³ ، وقوله: "على ما يأتي ذكره"¹⁴ ، وقوله: "كما قلناه"¹⁵ ، وقوله: "فقد تقدم في أول كتاب البربر"¹⁶ ، وقوله: "كما سبق ذكره"¹⁷ ، وقوله: "ولنبداً منها بذكر"¹⁸ وقوله: "فلنذكر الآن"¹⁹ ، ومما يلاحظ أن ابن خلدون يكثر من هذه العبارات فلا تكاد أي صفحة من صفحات كتاب العبر تخلو من إحدى هذه العبارات المذكورة.

¹ - ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 7، 49، 164، 183، 191؛ نفسه، ج 7، ص 10، 32.

² - نفسه، ج 6، ص 164. ج 7، ص 39.

³ - نفسه، ج 6، ص 30.

⁴ - نفسه، ج 7، ص 8، 63.

⁵ - نفسه، ج 6، ص 21.

⁶ - نفسه، ج 6، ص 34، 191، 376؛ نفسه، ج 7، ص 11، 32، 43.

⁷ - نفسه، ج 6، ص 43.

⁸ - نفسه، ج 6، ص 6.

⁹ - نفسه، ج 6، ص 30؛ نفسه، ج 7، ص 6.

¹⁰ - نفسه، ج 6، ص 102.

¹¹ - نفسه، ج 6، ص 119.

¹² - نفسه، ج 6، ص 128.

¹³ - نفسه، ج 6، ص 200.

¹⁴ - نفسه، ج 6، ص 233.

¹⁵ - نفسه، ج 6، ص 250.

¹⁶ - نفسه، ج 7، ص 5.

¹⁷ - نفسه، ج 7، ص 81.

¹⁸ - نفسه، ج 7، ص 85.

¹⁹ - نفسه، ج 6، ص 6.

الخاتمة

خاتمة :

من خلال محاولة دراسة منهج ابن خلدون في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية ضمن كتابه العبر (الجزأين السادس والسابع نموذجاً)، تلمست مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن إجمالها على النحو التالي:

أن منهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية جاء مغايراً لعصر التفكك والانحطاط الذي عاش فيه والذي اتسم بالثورات والفتن وتقلص ظل الدول في الجانب السياسي، ...، أما في الجانب العلمي والفكري فقد تراوحت بين سياسة التقليد والجمود والإبداع والتجديد، ...، وكل هذا ساهم في توجيه فكر ابن خلدون الذي سعى عبر تأملاته ومحاولته لكتابة التاريخ في قوالب منهجية وفلسفية.

وقد أثبتت الدراسة أن ابن خلدون قد أعطى فلسفة التاريخ سبقاً نظرياً واسعاً ووضعه في كتابه العبر حيث نهج في تنظيم مؤلفة تهجاً جديداً يختلف عن نهج كثير ممن كتبوا في التاريخ من قبله، فبدأ بتحديد أجيال العرب وأنساب الأمم، وقسم الأمم بما فيها البربر إلى طبقات وتتبعها طبقة طبقة، وتتبع أصول كل واحد منها وأخبارها إلى أن وصل إلى الدول التي أسستها، فتتبع تاريخها من البداية إلى النهاية، مع مراعاة نقط الوصل والتداخل بين مختلف الدول.

كما أوضحت الدراسة أن منهجه في النقد التاريخي يقوم على جملة قواعد يجب الالتزام بها في تحقيق الروايات التاريخية ومنها: إرجاع الأخبار إلى طبائع العمران وتحكيم العادة وقواعد السياسة، وقياس الغائب بالشاهد وإخضاعها للعقل من حيث الإمكان والاستحالة، وهو ما يعرف بقانون المطابقة، كما ركز ابن خلدون على نقد متون الأخبار وتقديمها على نقد الأسانيد. فابن خلدون من خلال مقدمته وضع معايير في معالجة الوقائع التاريخية، تسمح للمؤرخ بالتمييز بين الأخبار الصحيحة والمغلوبة، ويعد هذا المنهج سبقاً علمياً في نقد الأخبار لم يأخذ به أي من المؤرخين العرب المسلمين من قبله، إذ اعتمد هؤلاء -في الأغلب- أسلوب الرواية السردية دون أي تدخل في الأخبار والروايات عند نقلها وتدوينها.

فأثبتت الدراسة أن ابن خلدون استطاع أن يطبق منهجه وقواعده في العمران أو الاجتماع الإنساني في تاريخه العبر الجزأين السادس والسابع، فالمتتبع للجزأين يلاحظ التصحيحات والنقد والتفسير لمعظم الأحداث وفقاً لمنهجه وقواعده، كما أن تاريخه يخلو من الخرافات والأساطير والمبالغة. وبالتالي يصعب قبول المفهوم السائد بأن تاريخ ابن خلدون لا صلة له فيما جاء في المقدمة، أو أنه تاريخ لا يختلف عن غيره.

وأظهرت الدراسة تنوع المصادر التي اعتمدها ابن خلدون في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) من كتابه العبر ما بين المصادر المكتوبة والمشاهدة والمعاصرة والروايات الشفوية،

وكان أبرز هذه المصادر المشاهدة والمعاصرة للأحداث لأن ابن خلدون كان على اتصال بمختلف قبائل البربر متنقلاً بين دول المغرب.

وتبين من هذه الدراسة أن ابن خلدون استطاع في كتابه العبر حول أخبار البربر والعرب الهلالية (الجزأين السادس والسابع) أن يكتبه بأسلوب متميز، رصين العبارة، قوي محكم، لا يعتمد فيه على السجع والتكلف الذي كان سائداً في عصره، وإنما استخدم أسلوباً راقياً في التعبير، واضح الدلالة، حسن الأداء، جميلاً في صياغاته.

مصادر والمرآة البحر

المصادر:

- القرآن الكريم
- ابن تغر بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسن شمس الدين، ج13، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.
- _____، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أحمد أمين، ج7، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.
- التنبكي، أحمد بابا (ت1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج1-2، ط1، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرمة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ (1989م).
- التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد: رحلة التيجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981.
- بن حجر العسقلاني الحافظ (ت852هـ): إنباء الغمر بإنباء العمر، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، ج2، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ/1994م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت488هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ط1، الدار المصرية، القاهرة، 1966م.
- ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عدنان، ج3، ط1، منشورات الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1395هـ/1975م.
- _____، أوصاف الناس في التواريخ والصلوات تليها الزواجر والعظات، تحقيق: محمد كمال شبانة، منشورات اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب- الإمارات العربية المتحدة، 1977.
- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج7، دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م.
- _____، المقدمة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1431هـ/2001م.
- ابن الرامي البناء، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي: الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق: فريد بن سليمان، تقديم: عبد العزيز الدولاتلي، منشورات مركز النشر الجامعي، مصر، 1999م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (ت 902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.
- بن الشماخ، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد : تاريخ الأمم والملوك، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991..
- ابن القاضي، أحمد المكناسي (ت 1025هـ) : جذوة الاقتباس - في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورية للطباعة والوراقة، الرباط: 1973.
- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ابن الخطيب القسنطيني (ت 810هـ): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج6، دار صادر، بيروت.
- _____ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج6، دار صادر، بيروت.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت 380هـ): الفهرسة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- الحموي، ياقوت(ت 626هـ/1228م): معجم الأدياء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج7، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

المراجع:

- باشا، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المضعفين، مج1.
- بانبيله حسين عبد الله: ابن خلدون وتراثه التربوي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/1984م.
- بوعجيلا، ناجية الوريحي: حفريات في الخطاب الخلدوني - الأصول السلفية ووهم الحداثة العربية- ، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2008.
- ترحيني، محمد أحمد: المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- الجابري محمد عابد: فكر ابن خلدون العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي-، ط6، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.
- حسين، طه: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية - تحليل ونقد-، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1343هـ/1925م.
- الحصري، ساطع: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ط3، مكتبة الخانجي - دار الكتاب العربي، القاهرة- بيروت: 1387هـ-1967م.
- خضر، عبد العليم عبد الرحمان: المسلمون وكتابة التاريخ - دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ-، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1993م.
- الخضيرى، زينب: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ/1989م.
- الزركلي، خير الدين: الإعلام قاموس وتراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج8، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- الساعاتي، سامية حسين: ابن خلدون مبدعاً -قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع- ، ط1، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م.
- شقرون، محمد بن أحمد: مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي العصر المريني، دار الثقافة، المغرب، 1406هـ/1985م.
- الشكعة مصطفى: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1413هـ/1992م.
- عاصي، حسين: ابن خلدون مؤرخاً، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م.
- عامل مهدي: في علمية الفكر الخلدوني، دار الفرابي، بيروت، 1985م.
- مغربي عبد الغني: الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
- مجموعة من الباحثين: ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، 2008م.

- مجموعة من الباحثين: الفكر الاجتماعي الخلدوني - المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004م.

- النبهان، محمد فاروق: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1418هـ/1998م.

- وافي، علي عبد الواحد: عبقرية ابن خلدون، ط2، مكنتات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1404هـ/1984م.

الدوريات:

- الأحمد، محمد علي: "نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ - ابن خلدون نموذجاً"، مجلة إسلامية، المعرفة، بيروت، ع51، 1428هـ/2007.

- طحطح، خالد فؤاد: "منهجية ابن خلدون التاريخية" - دورية كان التاريخية - ع7، مارس 2010.
- غوردو، عبد العزيز: مدخل لقراءة ابن خلدون أسئلة في المنهج والنظرية - دورية كان التاريخية -، ديسمبر، 2008.

- قدورة، زهية: "ابن خلدون والحقيقة التاريخية"، مجلة المؤرخ الغربي، بغداد، العراق، منشورات الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع1، 1975م.

الأطاريح:

- الحباشة، خلدون خليل سليم: ابن خلدون والتاريخ، أطروحة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الأردن، كلية الدراسات العليا، 2010.

الفهارس

- فهرس الأعلام

- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
حرف - أ -	
- إبراهيم بن الحاج النميري	7
- إبراهيم بن عبد الله التمروغني	24
- أبو إسحاق الحسناوي	22
- أبي إسحاق الحفصي	3
- أيوب بن أبي يزيد	21
حرف - ب -	
- ابن بطوطة	7
- البلاذري	9
- ابن البناء المراكشي	7
حرف - ت -	
- تماضر	32
- تيمور لنك	4 ، 3
حرف - ح -	
- ابن الحاجب	6
- الحاج يونس	24
- أبو حامد الغزالي	6
- أبي الحسن المريني	4 ، 3
- أبي حمو	23
- ابن حنبل	6
- أبي حنيفة	5
حرف - خ -	
- الخراز	5
- ابن الخطيب	39 ، 38 ، 20 ، 7 ، 6 ، 4 ، 3 ، 2

حرف - ر -	
20	- الرنجي
6، 3	- ابن رشد
7	- ابن رشيد السبتي
21، 20	- ابن الرقيق
حرف - س -	
21	- سالم بن سليم المطماطي
3	- أبو سالم المريني
21، 20	- ابن سعيد
24	- سلام شيخ أولاد تركية
حرف - ش -	
5	- الشافعي
31	- ابن شداد
6	- الشهرزوري
23	- الشيخ عثمان
حرف - ص -	
26	- صلاح الدين الأيوبي
حرف - ط -	
39، 32، 20، 16، 9، 5	- الطبري
24	- طلحة بن المظفر
حرف - ع -	
20، 9	- ابن عبد الحكم
25	- عبد المؤمن
24، 5، 3	- أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الآبلي
3	- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن نزال الأنصاري
3	- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور
3	- أبو عبد الله محمد ابن النجار
24	- أبو عبد الله محمد بن وافسول

19	- عريب بن حميد
24	- عريف بن يحيى
31	- علي بن رزق الرياحي
32، 19، 5	- علي بن عبد العزيز الجرجاني
32	- أبي عمر بن المرابط
32، 19	- عمر بن عبد البر
32	- عمر بن قيس
حرف - غ -	
24	- غانم
حرف - ف -	
22	- أبي الفضل بن أبي مدين
8	- فيكو
حرف - ق -	
3	- أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان المالقي
32، 28، 20	- ابن قتيبة
حرف - ك -	
20	- ابن الكلبي
21	- كهلان ابن أبي لوا
حرف - م -	
5	- مالك ابن أنس
32	- مالك ابن المرحل
3	- محمد ابن الأحمر
38، 19	- أبو محمد التيجاني
32، 21، 19	- أبو محمد بن حزم
25	- محمد بن عبد الله بن هود
5	- أبو محمد بن عطية
5، 3	- أبو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي
25، 24	- محمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي

6	- ابن مرزوق
19، 09	- المسعودي
31، 25	- المعز بن باديس
17	- المهدي بن تومرت
حرف - ن -	
22	- الناصر محمد بن قلاوون
حرف - ه -	
21	- هاني بن مسرور الكومي
9	- ابن هشام
حرف - و -	
9	- الواقدي
حرف - ي -	
25	- يعقوب المنصور الموحي
24	- يوسف بن علي
26	- أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق

فهرس الموضوعات

مقدمة : ب

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته : ب

ب- المنهج : ج

ج- الصعوبات : ج

د- عرض الموضوع : ج

هـ- تحليل ونقد لأهم المصادر والمراجع : د

الفصل الأول : ابن خلدون عصره وفلسفته ومنهجه في كتابة التاريخ 1

1- تعريف بابن خلدون : 2

أ- اسمه ونسبه : 2

ب- شيوخه : 3

ج- المناصب التي تقلدها : 3

2- عصر ابن خلدون السياسي والفكري : 4

أ- الجانب السياسي : 4

ب- الجانب العلمي والفكري : 5

3- فلسفة ابن خلدون ومنهجه في كتابة التاريخ : 8

أ- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون : 8

ب- المنهجية التاريخية عند ابن خلدون : 10

الفصل الثاني : الكتابة التاريخية عند ابن خلدون من خلال كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية

(الجزأين السادس والسابع) 15

1- محتوى الكتاب الثالث في تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية من كتاب العبر وتنظيم المادة

التاريخية : 16

2- الأدوات المنهجية : 19

أ- التوثيق :	19
ب- التعداد والإحصاء :	24
ج - القواعد المنهجية في كتابة العبر :	26
3- أسلوبه في الكتابة :	31
خاتمة :	35
مصادر ومراجع البحث	37
المصادر :	38
المراجع :	39
الدوريات :	41
الأطاريح :	41
الفهارس	42
فهرس الأعلام	43
فهرس الموضوعات	47

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ